طرق جديدة إلى روايات الهجرة

طرق جديدة إلى روايات الهجرة

المحتويات

مقدمة ---- 08

إنطباعات متبدّلة ---- 10

خلفية ---- 12

المنشور ---- 14

معدّو التقارير الذين تمّت مقابلتهم من أجل هذا المنشور ---- 18

الفصل الأول: من هم الرواة؟ 24

الفصل الثاني: اختيار الموضوع 32

الفصل الثالث: الإعداد 40

الفصل الرابع: من هم الخبراء؟ 46

الفصل الخامس: المقابلات 56

الفصل السادس: بناء المضمون 64

الفصل السابع: التأثير 72

عن الكتاب

لقد عاشت الكاتبة\الصحافيّة السويديّة **جيني غوستافسن** في بيروت منذالعام 2009. وتمحور عملها حول الثقافة المعاصرة والمجتمع، بما فيها الهجرة، والتطوّر، ومشاكل المدن، والحرف والتقاليد. هي نفسها مهاجرة انتقلت من الريف إلى المدينة، ثم تبدّت أمامها فرصة مغادرة سكاندينافيا إختيارياً والإنتقال إلى الشرق الأوسط.

شاركت **أنجيلا سعادة** في تأسيس الجمعيّة اللبنانيّة «جبال»، وهي تعمل على المواضيع المتعلّقة بالعدالة البيئية والإجتماعية. درست أنجيلا الأنتروبولوجيا وهندسة الطاقة، وهي اليوم تعمل كميسّرة في مجال التربية الشعبية مع مجموعات شبابيّة، ومعلّمين، ومزارعين، وصحافيّين. هي أيضاً كانت لها قصتها الخاصة مع الهجرة، إذ أُجبِرَت على الرحيل عن لبنان خلال الحرب الأهليّة وهي طفلة، ثمّ هاجرت كطالبة إلى أوروبا حيث سكنت ١٥ سنة.

شكر

الشكر الجزيل لجميع الرواة والمشاركين السابقين الذين حاورناهم من أجل هذا المنشور، وساهموا بوقتهم ومداخلاتهم المهمّة. لم يكن هذا المنشور ليرى الضوء بدونهم. الشكر أيضا لرنا حسّان لمساهمتها في الأبحاث ولأفكارها ومعرفتها، وأيضا الشكر لزميلنا كليمان جيراردو الذي قرأ الفصول وقدّم مساهمته القيّمة فيها. الشكر أيضا لجنى عابديني لمجهودها في تحرير النص وساسين كوزلي للترجمة وسوار قريطم للتصميم الغرافيكي للمنشور. لقد أمكن تحقيق هذا المنشور بدعم من GIZ.

كتابة

Switch Perspective

بدعم من

التعاون الألماني DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT

Implemented by giz Deutsche Gesellschaft für Internationale Zusammenarbeit (GIZ) GmbH

zfd Ziviler Friedensdienst

مقدمة:

الهجرة. قلّما تحدّثنا عبر التاريخ عن موضوع بهذه الكثرة. نتحدث عن أناس وعائلات يعبرون الحدود أو ينتقلون من مكان لآخر، إمّا للعمل أو للإستقرار مؤقتا أم بشكل دائم، أحيانا اختياريا وأحيانا أخرى بشكل قسريّ أو للضرورة. يبدو أنّ الجميع هذه الأيام يتحدّث عن الهجرة، من وسائل الإعلام أو السياسيين وحتى الناس العاديين في منازلهم. ما يخلق الانطباع أن عوالمنا تتشكّل أكثر من ذي قبل بناءا على أسباب ومؤثرات الهجرة البشرية.

سواء كانت هذه المقولة صحيحة أم لا ليس مهمّا بقدر حقيقة أن نظرتنا للعالم تتشكّل بدرجة كبيرة استنادا الى المحادثات والتقارير الصحفية العديدة حول هذا الموضوع. حين نسمع كثيرا عن موضوع ما، تتغيّر أفكارنا لتصبح منسجمة مع الخطوط العامّة لما نسمعه بشكل متكرر.

لهذه الأسباب بدأنا في مشروع (انطباعات متبدّلة)، القائم في بيروت، بتنظيم ورش عمل حول موضوع الهجرة البشرية. شعرنا بالحاجة لنقاش نقديّ ومتبصّر حول التغطية الإعلامية للهجرة وتأثيرها على العالم. تمّ تنظيم الورش الأولى عام 2016، والتي جمعت عاملين من مختلف حقول الإعلام والأكاديميا لمدّة أسبوع في جلسات للتبادل والتأمّل الذاتي.

اجتمع في هذه الجلسات صحفيون وعاملون في منظمات غير حكومية وناشطون معا، العديد منهم قدّ اختبروا الهجرة أو اللجوء بأنفسهم، للنقاش في كيفية سرد القصص حول الهجرة. أي صورة عن العالم نقدّم؟ كيف ندعو القرّاء والمستمعين الى التفكير بالموضوع؟ الى ماذا تؤدّي التغطية الإعلامية السيّئة وكيف يمكن تحسينها؟

النقاشات استمرت لفترة تزيد عن الأربع سنين. حيث تمّت مشاركة الكثير من التجارب وسُردت القصص المهنية والشخصية. تحدّث المشاركون عن تجاربهم الشخصية في الهجرة واللجوء، وكيفية تعاطيهم كمراسلين مع موضوع اختبروه شخصيا. لقد شاركوا الاستراتيجيات التي استخدموها، بالإضافة الى الطرق التي يمكن من خلالها لرواة القصص أن يكونوا أكثر انتباها للتحيّزات وعدم المساواة. نتجت الكثير من المعرفة المهمة من خلال النقاشات لدرجة أدركنا في مرحلة ما أنه يجب توثيقها ومشاركتها. هذا المنشور هو نتيجة تلك الورش والنقاشات التي جرت فيها.

يعبّر الإسم «انطباعات متبدّلة» عن الهدف من المشروع: إيجاد طرق جديدة للنظر الى الأمور والتفكير فيها، من أجل رؤيتها بشكل مختلف. ظهر الشكل الحالي للمشروع عام 2018، بعد سنتين من تنظيم أولى ورشات العمل. على رأس هذا المشروع كل من أنجيلا سعادة، وهي مدرّبة تعليم شعبي، وجيني غوستافسون وهي صحافية وكاتبة. كلاهما تتمتعان بخبرة في تغطية موضوع الهجرة وتيسير النقاشات حولها.

قبل العام 2018 قامت سعادة وغوستافسون بتنظيم الجولة الأولى من ورش العمل بالتعاون مع الفريق المكون من أعضاء من بلدان مختلفة. كانت الجلسات تمتدّ لمدّة اسبوع وتجمع المشاركين ببعضهم ثلاث مرّات، كل مرّة في بلد مختلف. منذ ذلك الوقت أقامت سعادة وغوستافسون ورش عمل خلال نهاية الأسبوع، وجلسات «دردشات» في بيروت وعدّة مدن لبنانية أخرى، مع مشاركين من خلفيّات متعدّدة في لبنان.

يتسنّى للمشاركين خلال ورش العمل هذه تبادل أفكارهم وعلاقتهم بموضوع الهجرة والتفكير فيها. يتمّ مشاركة التجارب المهنيّة بالإضافة الى الأحداث التي ساهمت بصقلهم على المستوى الشخصي، الأمر الذي يفتح المجال أمام فهم جديد للهجرة والتنقّل.

هذه المقاربة مهمّة لسببين، الأول، لأنّها تسمح برواية القصص بطرق متنوّعة وغير تقليدية اعتماداً على التأمّل الذاتي ومعرفة علاقتنا بالعالم. ثانيا، لأنّها تتيح المجال لخلق مساحة إعلامية أوسع وأكثر شمولا، حيث تُروى القصص من آفاق مختلفة، ومن قبل أشخاص من خلفيات متنوّعة.

انطباعات متبدّلة

يعبّر الإسم «انطباعات متبدّلة» عن الهدف من المشروع: إيجاد طرق جديدة للنظر الى الأمور والتفكير فيها، من أجل رؤيتها بشكل مختلف. ظهر الشكل الحالي للمشروع عام 2018، بعد سنتين من تنظيم أولى ورشات العمل. على رأس هذا المشروع كل من أنجيلا سعادة، وهي مدرّبة تعليم شعبي، وجيني غوستافسون وهي صحافية وكاتبة. كلاهما تتمتعان بخبرة في تغطية موضوع الهجرة وتيسير النقاشات حولها.

قبل العام 2018 قامت سعادة وغوستافسون بتنظيم الجولة الأولى من ورش العمل بالتعاون مع الفريق المكون من أعضاء من بلدان مختلفة. كانت الجلسات تمتدّ لمدّة اسبوع وتجمع المشاركين ببعضهم ثلاث مرّات، كل مرّة في بلد مختلف. منذ ذلك الوقت أقامت سعادة وغوستافسون ورش عمل خلال نهاية الأسبوع، وجلسات «دردشات» في بيروت وعدّة مدن لبنانية أخرى، مع مشاركين من خلفيّات متعدّدة في لبنان.

يتسنّى للمشاركين خلال ورش العمل هذه تبادل أفكارهم وعلاقتهم بموضوع الهجرة والتفكير فيها. يتمّ مشاركة التجارب المهنيّة بالإضافة الى الأحداث التي ساهمت بصقلهم على المستوى الشخصي، الأمر الذي يفتح المجال أمام فهم جديد للهجرة والتنقّل.

هذه المقاربة مهمّة لسببين، الأول، لأنّها تسمح برواية القصص بطرق متنوّعة وغير تقليدية اعتماداً على التأمّل الذاتي ومعرفة علاقتنا بالعالم. ثانيا، لأنّها تتيح المجال لخلق مساحة إعلامية أوسع وأكثر شمولاً، حيث تُروى القصص من آفاق مختلفة، ومن قبل أشخاص من خلفيات متنوّعة.

خلفية

يرتبط العديد من المشاركين في «انطباعات متبدّلة» بلبنان. فبعضهم وُلدَ وترعرع فيه، وآخرون انتقلوا إليه أو تهجّروا إليه كراشدين. بعضهم لبنانيّون، وآخرون ينتمون إلى مجتمعات سورية وفلسطينية متواجدة في لبنان. وبعضٌ أتى من أجزاء مختلفة من العالم للعمل في البلاد.

لبنان بلد صغير يقع على الشواطئ الشرقيّة للبحر الأبيض المتوسّط، ويحوي أربعة ملايين مواطن وحوالي المليونيّ نازح وعامل أجنبيّ من عدد من الدول، ما يجعل لبنان الدولة التي تضم العدد الأكبر من النازحين نسبةً لعدد السكان.

إنّ تاريخ لبنان مع الهجرة يعود إلى حقبات ماضية بعيدة. فقد عرفت شعوب المنطقة، بما فيها لبنان اليوم، وسوريا وفلسطين، الهجرة إلى الخارج كما إلى الدول الإقليميّة. وتاريخيّا، كان الفينيقيون روّاد البحر يسافرون عبر المتوسّط لأغراض التجارة.

خلال أيام الحكم العثماني، حضرت العديد من الأقليّات للإقامة في المنطقة. وفي المقابل، دفعت الأزمات الإقتصاديّة والسياسيّة التي سادت في بداية القرن التاسع عشر بالعديد إلى السفر إلى أوروبا، وغرب أفريقيا، وأمريكا، وغيرها، بحثاً عن الأمان. كما هاجر العديد بسبب المجاعة التي ضربت المنطقة خلال الحرب العالمية الأولى. وفي الفترة نفسها، استقبل لبنان الأرمن الهاربين من الإبادة بحقّهم. وبعد عقود قليلة، وتبعاً لإنشاء إسرائيل في العام 1948، وصل الفلسطينيّون المهجّرون من منازلهم. واليوم، ما زال العديد من الفلسطينيين يعيشون فيما يُطلق عليها إسم «مخيّمات اللاجئين»، وهي عبارة عن مناطق معزولة إجتماعيّاً ضمن لبنان.

في الأعوام الأخيرة، أدّت الحرب الأهلية اللبنانية من عام 1975 إلى 1990 بأعداد كبيرة من الشعب إلى المغادرة واللجوء الى بلاد أُخرى. وفي منتصف وأواخر التسعينيات، بدأ العاملون السوريون - الذين كانوا يشكّلون جزءاً كبيراً من اليد العاملة في لبنان- بالتوافد إلى لبنان. وتبعهم عمّال من دول مثل سريلانكا، مصر، الفيليبين، أثيوبيا، السودان، وبنغلادش. وبسبب الحرب التي اندلعت في سوريا في الـ 2011، عبرت العديد من العائلات السورية الحدود بحثاً عن الملجأ في لبنان وبقيت فيه.

وما زالت العديد من التقارير تتناول هذه المسائل، فبيروت مركز صحفيّ مألوف وقاعدة للعديد من غرف الأخبار، والباحثين، والمراسلين الأجانب. ويوجد في لبنان العديد من مكاتب المنظّمات غير الحكوميّة المحليّة والدوليّة ، بما فيها تلك العاملة على قضايا الإغتراب والنزوح. لذا، يُقدّم لبنان مثالاً هامّاً للتفكير في قضايا الهجرة، وهو الهدف المتوخّى من هذا المنشور.

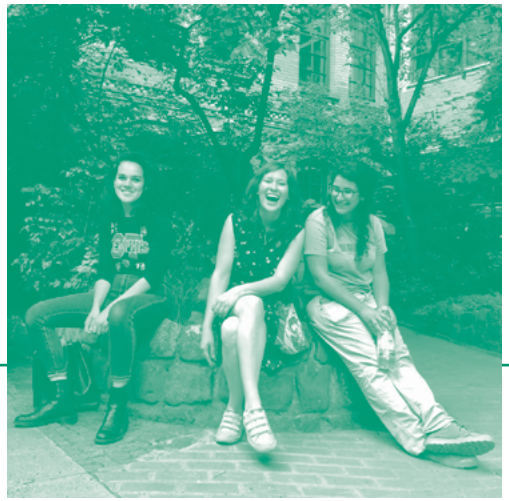

المنشور

الفصول التالية هي نتيجة النقاشات والحوارات التي جرت خلال ورش العمل التي أقامتها «انطباعات متبدّلة» بين عاميّ 2016 و2020. يشرح كل فصل إحدى الخطوات في سياق سرد القصص. البداية هي بالنظر الى من هم الذين يقومون بسرد القصص، ثم نتفحّص كيفية اختيار المواضيع والتحضيرات واستشارة الخبراء وإجراء المقابلات وصياغة الروايات وأخيرا، نناقش مدى تأثير هذه القصص بعد نشرها.

في هذا المنشور يتمّ نقاش سرد الروايات من منظار واسع يتضمّن العمل الصحفي والبحث الأكاديمي وبيانات المنظمات غير الحكومية. إن تغطية موضوع الهجرة اليوم لم يعد يقتصر على وسائل الإعلام التقليدية فقط. إذ تقوم بتغطية هذا الموضوع مختلف المنشورات بالإضافة الى الأصوات المستقلّة على وسائل التواصل الاجتماعي والمنظمات غير الحكومية المحليّة والدوليّة. لذلك يمكن القول إن سرد روايات الهجرة يأتي من أناس متعدّدين ينشرون القصص ويشاركوها على منصّات مختلفة. كما أنّ مفهوم الهجرة نتعامل معه من منظار واسع أيضا، ليتضمّن سياقات التنقّل والحركة بالإضافة الى النزوح واللاجئين وطالبي اللجوء.

إنّ الفصول السبعة في هذا المنشور مبنية على المقابلات والحوارات مع الصحفيين والمخرجين والباحثين والعاملين في المنظمات غير الحكومية الذين شاركوا في ورش العمل التي نظّمتها «انطباعات متبدّلة». العديد منهم يملكون تجارب شخصية مع الهجرة، بالإضافة الى خبراتهم المهنيّة.

لقد استخدمت هذه المقابلات كأساس للتحليل الوارد في هذا المنشور، إنّ الخطوط العريضة وأقسام ومضمون كل فصل كُتبت استنادا الى ما جاء في هذه الحوارات.

الهدف من هذا المنشور هو أن يصبح موردا يستخدمه الذين يقومون بسرد القصص كمصدر للنصائح العملية، وأيضا كمحفزّ على التأمّل الذاتي والتفكير. إن الآليات الكامنة خلف سرد القصص بطرق ما محدّدة بدقّة هنا، كما نشرح كيف يمكن للاستبطان والتبادل أن يوفّرا المزيد من المعرفة حول الطريقة التي نعمل بها. إن النتيجة التي نأمل فيها هي تغطية صحفية أفضل حول موضوع الهجرة.

The Outpost
a magazine of possibilities
The Possibility of Finding Home
Arrivée des pelerins de Medina à l'aéroport de Beirut

معدّو التقارير الذين تمّت مقابلتهم من أجل هذا المنشور

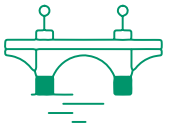

شهرزاد

أنا طالبة علوم سياسيّة ومساهمة في مجلّة الموسيقى الأفريقية «بام». وُلدت في فرنسا من والدين مغربيَّين. فرنسا بلد يحتوي على جاليات عديدة، فأحاول نقل هذا التنوّع إلى مقالاتي. أكتب عن مواضيع مختلفة منها الفنّ، والنسويّة، ومناهضة العنصريّة، والدين. إنّ خطيبي هو فرنسيّ من أصول جزائريّة. كلانا يهتمّ بأن يكون في شهر تشرين الأول من كلّ عام على جسر الـ «سان ميشال» في باريس من أجل إحياء ذكرى مجزرة الـ 1961 حين قامت الشرطة الفرنسيّة بمهاجمة جزائريين يعتصمون لمعارضة الحرب في الجزائر، وعمدت إلى قتلهم بالإغراق الجماعيّ.

instagram.com/shehrazaaaaad

سام موستلين

أنا كاتبة مستقلة ومديرة محتوى مقيمة في برلين. خلفيّتي الأكاديمية في الدراسات الإعلامية والثقافية، وأهتمّ بكيفيّة تأثير العنصريّة والامتياز والأحكام المسبقة على أسلوب طرح القصص المتعلّقة بالهجرة في الإعلام، لا سيما في الإعلام المحليّ.خلفيّتي الإغترابيّة اوروبيّة، فأنا أنتمي إلى بلدين أوروبيين مختلفين، كما عشت في بلد ثالث في المنطقة. لقد نشأت ثنائيّة اللغة، وأهتمّ للقصص المتعلّقة بالهجرة والهويّة. وأريد ككاتبة أن أستكشف صوتي الخاص وأن أعمل على ايصال أصوات الآخرين.

about.me/samustelin

سيمون سبيرا

أنا طالب دكتوراه باحث في علم الإنسان في جامعة في باريس، وأنا ايطالي. كان جداي من بين العديد من المزارعين الذين ينتمون الى الطبقة العاملة والذين هاجروا من جنوب إيطاليا إلى بلدان كألمانيا، وسويسرا، وفرنسا في ستّينيات القرن الماضي بحثاً عن فرص عمل. وأنا بدوري تركت مدينتي في سنّ الخامسة عشرة لمتابعة دراستي في مدرسة داخلية دولية في الولايات المتّحدة. بعدها، أتت بي دراساتي إلى اسبانيا، وفرنسا، واليونان، ولبنان. أنا أهتمّ بكيفيّة تأثير النزوح السكّاني على حياتنا وعلى نظرتنا الى العالم، وبحثي الحاليّ يتمحور حول برامج بديلة للتربية في شمال لبنان وُضِعَت من أجل النازحين السوريين (ومن قبلهم).

lesc-cnrs.fr/fr/cb-profile/459/userprofile

فاطمة الحجّي

أنا صحافيّة وناشطة من دمشق، أتيت الى لبنان في العام 2013 كنازحة سورية. ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل مع جماعات النازحين في لبنان وبصفة صحافية مستقلّة، ومع منصّات إعلاميّة مختلفة تُعنى بحقوق الإنسان والنازحين. في لبنان، عملت كمصوّرة وأعدّيت تقريراً عن الحياة اليوميّة للعائلات السوريّة في البلاد. كما التزمت في العديد من الحملات الدفاعيّة عن حقوق النازحين بالحصول على خدمات صحيّة. أقيم في برلين منذ نهاية العام 2019.

facebook.com/fatimaha0

آبّي سوويل

أنا صحافية مقيمة في لبنان حيث يرتكز عملي منذ الـ 2016 على الهجرة وجماعات النازحين. كما تطوّعت في منظّمات غير حكوميّة محليّة وفي مبادرات إغاثية وتعليم لغة إنكليزية للعمّال الأجانب والنازحين. إنّ اهتمامي بالهجرة يعود إلى سنين نشأتي في ولاية أريزونا، بالقرب من الحدود الأمريكيّة مع المكسيك، ثم في لوس أنجلس التي تستقبل جماعات من المغتربين من العالم أجمع. وفي لوس أنجلس، تعرّفت إلى الجماعة السوريّة، ما أدّى إلى اهتمامي بإعداد التقارير عن المنطقة. أقيم في بيروت مع سيّارتي، درويش.

twitter.com/sewella

بيلينا دزيكزينيفا

أنا فنّانة وعالمة إنسان أعيش في ليون. وُلدت في كازاخستان، فعائلتي من هناك. في فترة الشباب، انتقل أجداديّ جميعهم إلى ليتوانيا- ولم يكونوا ليعرفوا أنّه هكذا ستبدأ قصة هجرة عائلتي المشتّتة. بعد أن التقى والداي سويّاً، عادا إلى كازاخستان للبحث عن مستقبل أفضل. وأنا انتقلت من هناك الى فرنسا في سنّ الثامنة عشرة. أشعر غالباً بالغربة من دون بيتٍ فعليّ. بعد دراستي لعلم الإنسان، بتّ أكترث لمسألة الهويّة. وهذا جعلني أدرك أنّ الهجرة ليست بعائق، بل هي فرصة.

instagram.com/jelenadzk

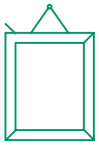

ريان سكّر

أنا صحافية أعمل لدى المنصة الإعلاميّة الإلكترونيّة «كامبجي» في لبنان. أنا لاجئة ابنة لاجئين، وفي تاريخ عائلتي خمسٌ وعشرون سنة من النزوح. نزح أجدادي عام 1948 من يافا في فلسطين إلى لبنان. ولم أحظَ برؤية مدينتي إلّا بصورة على حائط جدّي. وقصتي الخاصة مع الهجرة بدأت منذ أن وُلدْت في مخيّم برج البراجنة للّاجئين الفلسطينيين في بيروت، وقصدت مدرسة الأمم المتّحدة للّاجئين. إنّ مصطلح «لاجئة» رافقني طيلة حياتي، ويلاحقني حتى الآن إذ أُغرمْتُ أيضاً بلاجئ فلسطينيّ.

rayan.sokkar1@gmail.com

إنجا هايداروويتش

أنا باحثة وناشطة في بولونيا التي كانت فيها الهجرة، لفترات طويلة، إمّا مُلزَمة إمّا مقيّدة. لذا شغلتني مسألة استقلالية التحرّك والهجرة. إنّ «أزمة الإغتراب» التي اجتاحت أوروبا في العام 2015 ألهمتني لأنخرط في هذا الموضوع. وقادتني اهتماماتي في الديمقراطية التشاركيّة والتحرّكات الشعبيّة إلى أن أبحث عن مبادرات تخلق المساحات للناس، المغتربين وغير المغتربين، للتعاون معاً. وقد إنضممْتُ إلى المبادرة المحليّة: «أهلاً بكم في كراكوف» التي تمهّد الطريق للّاجئين في بولونيا، كما تطوّعت في مبادرات شعبيّة في صربيا، اليونان، ولبنان.

inga.hajdarowicz@doctoral.uj.edu.pl

لور مكارم

أنا مقدّم رعاية، ومدرّب، وعضو في مبادرات مختلفة تعمل من أجل حقوق المهاجرين، والعدالة العرقيّة، والدعم المتبادل بين المثليين وبناء الحركة النسويّة في لبنان. وحاليا أعمل مع حركة مناهضة العنصريّة، وأسعى للحصول على ماجستير في العلوم الجنسانيّة، كما أهتمّ بنبتة صبّار تُدعى «بريكلز».

laure@armlebanon.org

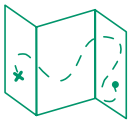

سميح محمود

أنا مواطن صحافي أعمل في منصة «كامبجي» الإلكترونيّة في لبنان. أرى أنّ الهجرة أمر أساسيّ للإنسانيّة: فالحياة الإنسانيّة بدأت بالتنقّل من مكان إلى الآخر بحثاً عن الطعام والماء. وعلى مرّ التاريخ، كانت الهجرة أمراً أساسيّاً للناس ليتعلّموا وينموا ويتطوّروا. لي خبرة شخصيّة مع الهجرة أيضاً، فوالدي لاجئ فلسطينيّ وُلِدَ في سوريا وحضر الى لبنان كلاجئ عند اندلاع حرب سوريا.

facebook.com/samihmhd

نـور غصيـني

أنا صحافيّة وأخصّائية في الإعلام الإجتماعيّ تقيم في بيروت. منذ أكثر من ستّين عاماً، نزح جدّاي إلى الكويت حيث وُلِدَت ونشأت والدتي. لقد تربّوا جميعاً على الثقافة الكويتيّة، وقد أخفت جدّتي طائفتها الدرزيّة عن أولادها حتى أصبحت أمّي في سنّ المراهقة، وذلك حتى لا تتعرّض الى أيّ نوع من أنواع التهميش. تقول جدّتي الآن أنّ قرار الهجرة كان الأفضل في وقتٍ عصيب مرّ به لبنان. أصبحت الكويت بلدهما الثانيّ. عادت والدتي إلى لبنان في الثمانينات، لكنّها ما زالت تتمسّك ببعض العادات التي طبعت طفولتَها في الكويت.

instagram.com/nourghoussaini

غديـر حمادي

أنا صحافية وأخصّائية تواصل أقيم في بيروت. أمضيت طفولتي مع عائلتي اللبنانيّة في المملكة العربيّة السعوديّة. كشخصٍ قصد مدرسة دوليّة وعاشَ في مدينة «الخُبَر» الجامعة مع مقيمين من بلاد مختلفة، أشعر دائماً أنّني في بيتي متى حاوطني أناس من خلفيّات وجنسيّات عديدة. قد يبدو الأمر بسيطاً، لكنّني أحاول تركيز عمليّ الصحفيّ على الإيجابيّات، ونقل القصص التي تخلق الجسور بين الجماعات وتخلق عالم أكثر ودّيّة.

instagram.com/ghadir_hamadi

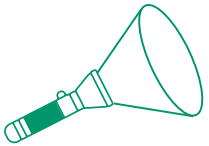

عمر سعـادة (اسم مستعار)

أنا منتج أفلام مقيم في بيروت. عائلة والدتي أوروبيّة نزحت إلى لبنان هرباً من الحرب. لقد نشأنا وتشرّبنا التراث الثقافي الخاص بالوالدة. إنّما أعتبر أنّ خلفيّتي الإغترابيّة ذات امتياز. فأنا لم أواجه أبداً التهميش بسبب أصولي الأوروبيّة. عندما بدأت بالعمل مع النازحين السوريين، لاحظْت أنّ الهجرة والعنصريّة تسيران جنباً إلى جنب. إنّ محاولة الإضاءة على هذا الأمر هو تحدٍّ دائم، ولا أدّعي أنّني أجيد ذلك. يمكنني فقط أن أعدّ التقارير. إنّ الشوط الذي ينبغي علينا أن نقطعه طويل لكن، عن طريق إعداد التقارير، يمكننا تغيير وجهة نظر واحدة في وقتٍ واحد.

ضحى قاضي

أنا صحافية وناشطة، أعمل في مجال الإنسانيّة والتطوير منذ العام 2015، داعمةً جماعات النازحين السوريين من خلال منظّمات محليّة ودوليّة. أنا إحدى المؤسسين لفريق «أم-تونتي-ثري» لإنتاج الأفلام، الذي أسّس معهد بيروت للأفلام، والذي ينتج ويصوّر أفلام قصيرة تتمحور حول الحرب، والهجرة، والنازحين. في سنّ المراهقة، هربت مع عائلتي إلى سوريا أثناء الإعتداء الإسرائيليّ على لبنان في العام 2006. لقد أقمنا هناك كنازحين لمدّة أربعين يوماً، وكانت هذه الخبرة ذات تأثير كبير على حياتي. فهي السبب وراء تعنّتي في الدفاع عن النازحين في لبنان، لأنّني أتفهّم مخاوفهم وخسارتهم لحسّ الإنتماء.

الفصل الأول

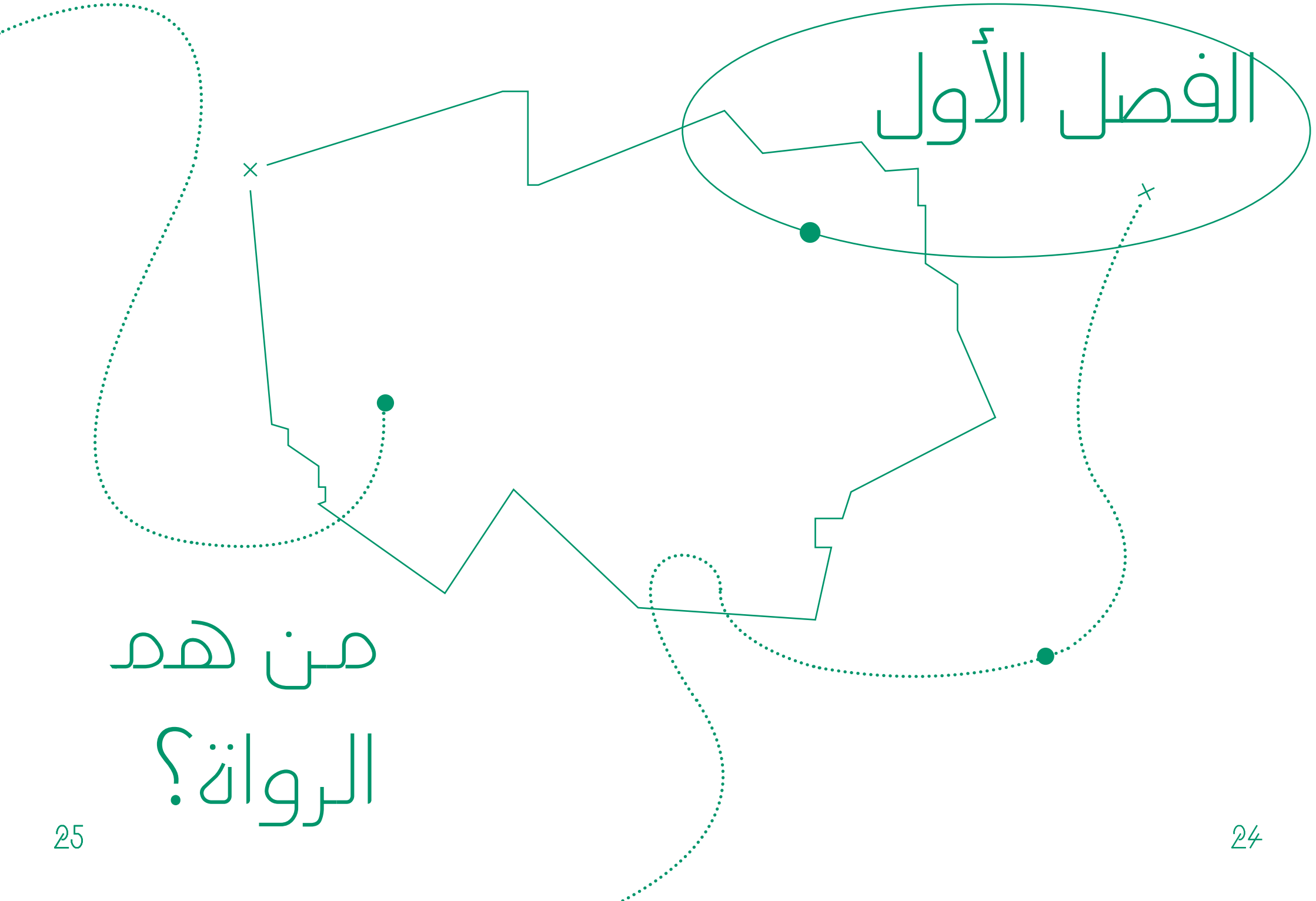

من هم الروانة؟

من هم الرواة؟

ترتبط القصص، سواء المكتوبة، المصوَّرة أم المسجّلة، بشكل وطيد برواتها. وتختلف طريقة سرد القصة باختلاف من يسردها ومن أين يأتي. فالموضوع نفسه قد يتمّ بحثه وسرده بأساليب مختلفة بحسب الخلفيّة، الخبرات، الجنس، الفئة الإجتماعية، وجوانب أخرى من شخصيات الرواة. المكان نفسه يمكن رؤيته من زوايا مختلفة، كما يمكن التماهي مع المفهوم نفسه بطرق مغايرة. وبالتالي، تتشعّب طرق سرد القصص المتعلقة بالهجرة والتنقّل بتشعّب الرواة. لذلك، سنستهلّ الفصل الأول من هذا المنشور بالتساؤل: «من هم الرواة؟»

يبحث هذا الفصل في مسألة من يروي قصص الإغتراب في العالم اليوم. كما يصف مفعول نقص التنوع في الرواة على فهمنا للموضوع، وكيف تؤثّر ديناميكية السلطة في المجتمع على من يحظى بنقل القصص وسردها. كذلك يضيء على أهميّة المعرفة «الخبيرة»، أي تلك المكتسبة عن طريق الخبرة، وذلك عند نقل موضوع الإغتراب، وعلى ما يؤدّي إليه التفكير الذاتي من صياغة أفضل.

أولاً، من أجل تقفّي الأثر الذي يتركه الرواة، كالصحافيين والمتواصلين مع المنظّمات غير الحكومية، على نظرتنا إلى الإغتراب، يجب أن ننظر عن كثب إلى من هم هؤلاء الرواة. على الرغم من المزيد من التنوّع في غرف الأخبار، المعاهد، والمنظّمات، يبقى التوازن في التمثيل ناقصاً. ما زالت القصص تُروى من منظار الغرب وتُنشَر على منصات تأسَّست في ذلك الجزء من العالم.

«حينما أروي أيّ قصة، فأنا أروي قصتي الخاصة».

كذلك الأمر للجمعيات الدولية غير المتوخّية للربح، وممولوها ضمناً. فعادةً ما تُنقَل قصص الإغتراب من قبل أشخاص تنقصهم الخبرة الحيّة المكتسبة من خلال الإغتراب، وهم غالباً ما ينظرون الى الأمور بعينٍ خارجيّة.

لقد طرح هذه المشكلة العديد من المشاركين في ورش العمل. يقول سميح محمود الصحافي التصويريّ الفلسطينيّ الذي يعمل لدى المنصّة الالكترونية «كامبجي» في مخيمّات بيروت للاجئين أنّ خبرته الشخصية كنازح فرّ من الحرب في سوريا منحته وجهة نظر مختلفة للموضوع. «أن أنتميَ إلى المنطقة نفسها التي أغطّيها وأن أواجهَ الظروف نفسها التي يواجهها الغير

الساكنين هناك يعني أنّني، حينما أروي أيّ قصة، فأنا أروي قصتي الخاصة. مشاكل الناس هي أيضاً مشاكلي».

نفس الأمر وصفته زميلته من كامبجي ريان سكّر الفلسطينية التي وُلدَت ونشأت في لبنان: «حين بدأت بالعمل هنا، شعرت أنّ هذا المكان هو منزلي، وأنّني أعبّر عن نفسي هنا، وأنقل الرسائلَ بشكل أفضل من شخص خارجيّ». إنّ موقفها كشخص منتمٍ الى المجموعة يسمح لها، كما تقول، أن تقدّم الأشخاص كما يرغبون في أن يتمّ تقديمهم.

يُنتج كلّ من محمود وسكّر فيديوهات تُنشَر إلكترونياً ويشاهدها المقيمون في المخيّم كما العديد من الأشخاص من خارج المخيّم. يقولان أنّ إرادتهما اتّجهت منذ البداية لأن يكونا صوتاً محلّياً مسموعاً، وهذا الأمر لم يكن متاحاً قبل كامبجي.

شعارنا: «من المخيّم والى المخيّم»، أو «من اللاجئ وإلى اللاجئ».

وتحدّثت الصحافية السورية التي تعيش اليوم في برلين، فاطمة الحجّي، بالطريقة نفسها عن المعرفة الحيّة.

لقد تذكّرت خبرتها حين وصلت الى لبنان مع عائلتها وكان عليهم التسجيل كلاجئين في الأمم المتحّدة. «كان الأمر في مطلع العام 2014، وكانت قصص النازحين تملأ المكان. وكان يوجد في الأمم المتّحدة صحافيّ يحمل آلة تصوير كبيرة فقلت في نفسي ربّما رآني أحدهم على التلفاز، لا، لا أريد أن أشاهَد على هذا الشكل». وبالنسبة للحجّي فإنّ هذه الخبرات وضعتها في وضعية مميّزة عن باقي الصحافيين الكاتبين عن الإغتراب: «أصبح لديّ الوسائل لسرد هذه القصص، فأنا أرويها بأسلوب يتماهى معه الناس».

في حين يحظى الصحافيّ ذو الخبرة الشخصية في الإغتراب بفهم عميق للموضوع، فهذا لا يعني حتماً أنّ أسلوبَه في السرد هو أفضل من سواه. ثمة حالات يكون فيها الرأي الخارجي مهمّاً، وحالات أخرى يكون النقل «من منظار داخليّ» أكثر قيمةً، غير أنّ المشكلة الأساسية في وسائل الإعلام العادية التي تغطّي الإغتراب هي أنّها غالباً ما تغيّب الحالات الأخيرة-أي الحالات التي تحكي عن خبرة شخصية.

إنّ الفهم المباشر لواقع معيّن له أيضاً أثر على القصص المُنتَجة. تحدثت ييلينا دزيكزينيفا، عالمة الأنثروبولوجيا التي انتقلت من كازاخستان الى فرنسا لمتابعة دراستها، عن الإختلاف في وجهات النظر بين من اختبروا القصة ومن لم يختبروها. وتقول أنّ أحداً لا تراوده فكرة بأنّه سيصبح فقيراً أو

أنّه سيخسر منزله، فهذه الأفكار ليست من الأفكار التي ينتجها الذهن طبيعيّاً. لذلك قد يحظى هؤلاء الذين اختبروا التشرّد مباشرةً بفهمٍ أعمق، ليس فقط للإغتراب بل أيضاً لسائر المصاعب التي تواجه المغتربون. وذلك لأنّهم يمكنهم التعاطف مع النازحين، وبالتالي فهم الفقر أيضاً.

وتقول شهرزاد، وهي طالبة وكاتبة من فرنسا، أنّ أصولها المغربيّة سمحت لها بملاحظة بدل رفع الأنماط التي تظهر في الإعلام بسهولة: «منذ صغري، وأنا أرى العنصرية إزاء شعوب شمال افريقيا وافريقيا عموماً تُعرَض على التلفزيون الفرنسي. في بعض الأحيان ينطبق الأمر على المسلمين عموماً وليس فقط على النساء اللواتي يرتدين الحجاب.

«علينا أن نخبر قصتنا بأنفسنا ولا يمكن أن يكون لنا فقط حلفاء، أي أشخاص يخبرون قصتنا».

وبما أنّ والدتي محجّبة، فنحن نعي أنّ ما يُنشَر عن الأمر على وسائل الإعلام لا يشبهنا. لذلك تكون القصص من وجهة نظرنا مهمّة علينا أن نخبر قصتنا بأنفسنا ولا يمكن أن يكون لنا فقط حلفاء، أي أشخاص يخبرون قصتنا، على الأقلّيات أن تروي قصصها من منظارها الخاص».

ثمة أساليب للنظر الى القالب الذي تُفرَغ فيه القصة. إحداها أن نعي وضعيتنا، أي كيفيّة تأثير الهويّات الإجتماعية والسياسية في نظرتنا الى العالم.

وتقول الباحثة البولونية إنجا حيدروويتش، طالبة دكتوراه في الأصول والأساليب النسويّة للنازحات، أنّها بدأت بالتفكير على هذا المنوال في سنٍّ باكرة: «لقد قضيت معظم وقتي عند جديّ، في محيط مكوّن من الطبقة العاملة. كنْتُ أحضر الاجتماعات النسويةّ، كما أقوم برحلات بحث مع والدتي التي كانت تعمل أيضاً كعاملة إجتماع، وهذا الأمر طبعني، تماماً كما طبعني النشوء في زمن تقلّبات ما بعد الشيوعية في بولونيا، ومعرفة تاريخ عائلتي في الهجرة والاغتراب. كلّ هذا قد حدّد كيف أرى من هو ممثَّل، ومن هو مسموع، ومن لا».

وتأثر فكر الصحافية اللبنانية نور غصيني بخبراتها الشخصية كما تقول. فهي تصرّح أنّها في مرحلة معيّنة، كبتت العنصرية: «لم أكن أعلم أنّني عنصريّة. فأحياناً، الحوادث والقصص التي يخبرها إيّاك الناس، والأفلام التي تشاهدها، وكذلك الأنماط التي يتمسّك بها والداك، تؤثّر فيك. فهذه الأمور كافةً، شئنا أم أبينا، تؤثّر في كيفية رؤيتنا للحياة».

وتضيف سكّر من «كامبجي» أنّ اختبار نوع واحد من الهجرة يجعل رؤيتنا أعمق فيما يختصّ بخبرات سائر الأشخاص عموماً. فهي تتذكّر حين تمّت مقابلتها من أحدهم ممّن اختبر في عائلته أيضاً مسألة النزوح: «لقد كانت المرة الأولى التي شعرت فيها بالراحة خلال مقابلة مع أجنبيّ. لقد

شعرت بأنّه يريد الإصغاء، وليس فقط الحصول على المعلومات. لقد شعرت أنّه يفهمني، وهذا يعود برأيي إلى كونه اختبر الإغتراب بصورة شخصية».

وعلى الرغم من أنّ خبرتهما لم تكن متشابهة، شعرت سكّر بالترابط بينهما: «لم أضطر إلى اللجوء إلى الشرح مع أنّنا من أماكن مختلفة. وهو أيضاً أطلعني أنّه يواجه صعوبات في الهويّة، وهو أمر مشتَرَك فيما بيننا».

يجب عدم اللغط بين الخبرة الشخصية عند نقل الإغتراب، ومسألة أنّ الأشخاص من المغتربين لا يمكنهم في المبدأ نقل القصص عن أنواع الإغتراب كافة، أو أنّه يجب أن تنحصر قصصهم فيما عاشوه. إنّه لمن الشائع أن يُطلب رأي أيّ نوع من المغتربين عن مواضيع أخرى. وتقول شهرزاد: «الناس في فرنسا يعتقدون أنّه كوني آتية من المغرب يجعلني أكثر دراية فيما يحصل في إيران أو في الشرق الأوسط. وأنا أقول لهم عذراً، أنا لا أعرف إيران، فأنا بالكاد أعرف المغرب».

وذكر بعض المشاركين أنّه يجب على اللاجئين والنازحين أن يكونوا أيضاً كتّاباً، وليس فقط من أبطال قصص الصحافيين. ومن بينهم ضحى قاضي من منظّمة سوا للإغاثة والتنمية التي تدعم اللاجئين في لبنان إذ تقول: «لهذه القصص محاسن عديدة، فهي تُظهِر هؤلاء الأفراد على أنّهم مفكّرون ومشاركون فعّالون في المجتمع».

إنّ هذا النوع من الروايات عن الإغتراب واللجوء يبقى نادراً، وذلك بسبب ميزان القوى في المجتمع. فبعض العوامل مثل الطبقة الإجتماعية، الجنس، الـ «إعاقة»، العرق والجنسيّة، تُحدث خللاً في مبدأ مساواة الأشخاص في العلم، الإعلام، الدعم وفرص العمل. إنّ الهيكليات الاقتصادية والسياسية والثقافية تفتح المجال لانعدام التوازن، والأمر مطبّق أيضاً في عالم الإعلام، المعاهد، المنظّمات الدولية، والمجتمع ككلّ. وهذا ما يحدّد من يحظى بإيصال قصته ومن لا يحظى.

تلقي شهرزاد، الطالبة والكاتبة في فرنسا، اللوم على العدالة: «إنّ معاهد الصحافة والبرامج الجامعيّة غير متاحة للجميع على حدّ السواء. إنّ غالبية المغتربين يقطنون في مناطق فقيرة، فنحن لا نعيش بجوار مدارس جيّدة، لذلك لا نحظى بفرصة التأثير في الإعلام».

وفي السياق نفسه، تذكّرت دزيكزينوفا ندوة صحافية حضرتها بعد الإعتداء على شارلي إيبدو في فرنسا: «لم يكن من تنوّع فيما بين الحاضرين في الندوة، في حين إن خرجنا إلى الشوارع سنرى أنّ الناس لا يشبهون بعضهم. ما دفعني للقول: «كيف لهؤلاء أن يكونوا صحافيين؟».

لقد انطبعت لدينا نوعاً ما صورة أنّ الصحافيّ أو العامل في المنظّمة غير الحكومية يكون شخصاً أبيضاً من الغرب. وفي الواقع يبقى الاستثناء نادراً. فلكم أن تتخيّلوا أن يذهب صحافيون من أوغندا، وغواتيمالا، وبنغلادش إلى الولايات المتّحدة أو ألمانيا لتغطية التقارير هناك- غالباً دون إيجاد اللغة أو فهم إطار القصة. في الحقيقة، عوضاً عن الحصول على تقاريرهم، يتمّ توظيفهم كميسّرين، مترجمين وأدلّة للصحافيين الغربيين.

إذاً يحظى الصحافي الغربيّ على التنويه فيما يُنكَر فضل الميسّر الذي غالباً ما يكون شارك بشكل اساسيّ في اعداد التقرير. إنّ الإختلاف بين صاحب التقرير والميسّر بحسب الصحافية بريانكا[1] بوربوجاري، «لا يعتمد على الخبرة أو الكفاءة، بل على الجغرافيا. بعبارة أخرى، على الوصول الى أروقة السلطة في الإعلام».

«إنّ فرصة نقل القصة هي مسألة امتياز».

إنّ فرصة نقل القصة هي مسألة امتياز على أكثر من صعيد. فأبواب الإعلام والمنظّمات غير الحكومة غير مفتوحة للجميع على حدّ السواء. في المقابل، بلوغها يعتمد على الهيكليات الإجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع.

وهذا الأمر صحيح فيما يختصّ بنقل قصص الإغتراب.

إنّ الأفراد الذين نزحوا، أو تشرّدوا، أو كانوا من المغتربين قلّما ينقلون القصص عن الإغتراب. بل هم في العادة ممّن يتمّ نقل قصصهم من قبل الغير. وهذا لا يؤثّر على الأفراد المهمّشين في الإعلام وغيره فحسب، إنّما يحدّ أيضاً من الفهم لدى الناس الذين حُرِموا من سماع الروايات المختلفة. إنّ ضمّ الأصوات المتعلّقة بالاغتراب تفتح النقاش حول فهمٍ صحيح لمفهوم الإغتراب عالميّاً.

1 | cjr.org/special_report/fixers.php

الأسئلة في هذا الفصل:

من يروي قصص الهجرة في عالم اليوم؟

كيف تؤثر هوية الرواة وتجاربهم الشخصية السابقة على روايتهم للقصّة؟

ما الدور الذي تلعبه ديناميات القوة في طريقة رواية قصص الهجرة؟

الفصل الثاني

اختيار الموضوع

اختيار الموضوع

كتب الباحث في الإعلام برنارد كوهين[2] عام 1963 التالي: «ربما الصحافة ليست فعّالة معظم الوقت في إخبار الناس أية أفكار عليهم تبنّيها، لكنها حتّما ناجحة بامتياز في إخبارهم بماذا عليهم التفكير». بكلام آخر، المواضيع التي يختارها الصحافيون لا تجذب انتباه الناس واهتمامهم فقط، بل أيضا تحدّد أجندة المجتمع ذاته. حين ورود أمر ما في الإعلام يعني القول للناس: «هذا امرٌ مهمّ عليكم التفكير به».

«بكلام آخر، المواضيع التي يختارها الصحافيون لا تجذب انتباه الناس واهتمامهم فقط، بل أيضا تحدّد أجندة المجتمع ذاته».

غالبا ما تقوم المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني بالأمر ذاته، عن طريق التركيز على مسألة واحدة في لحظة محدّدة في الزمن. منذ بداية ما يسمّى ‹أزمة اللاجئين› عام 2015، أصبحت الهجرة في مركز الاهتمام حول العالم وفي جميع القطاعات تقريبا. لكن حين نتفحّص ما الذي يتمّ نشره، لماذا تتمّ تغطية بعض المواضيع وبعضها لا؟ ما هي خلفيات القرار بتوثيق بعض من جوانب الهجرة وليس غيرها؟

قدّم المشاركون في ورش العمل أجوبةً مختلفة عن هذه الأسئلة. تقول عالمة الاجتماع المقيمة في ليون يلينا هايدارووِيتش إنّ مسألة الهجرة أكبر من مجرّد موضوع: «إنها العالم بأسره. كل ما يتعلق بكيف نعيش حياتنا يستند الى حركة انتقال البشر. كل الطرق التي أسلكها تقودني الى أناسٍ غيّروا بلدانهم ولغاتهم ومدنهم. الهجرة موجودة حولنا في كل مكان». بدأت دزيكزينيفا تتنبّه إلى سبب عدم تناول بعض المواضيع في الإعلام حين كانت تتابع دروسها في علم الإنسان الأنثروبولوجيا: «بدأت أتساءل عن سبب عدم تطرّق الإعلام لبلدي، كازاخستان. ففي العام المنصرم قمنا بانتخاب رئيس جديد، كما بدّلنا اسمَ عاصمتنا، وهذا بالأمر الضخم، ومع ذلك لم يتناوله أحد».

وقالت الصحافية نور غصيني من لبنان أنّها تفتقد إلى الإطار التاريخي لمسألة الهجرة متى تمّ تناولها الإعلام: «نتطرّق إلى الهجرة، الى الهوية والى الأنماط، لكننا لا نعود أبداً إلى الأصول. إلى أولئك الذين رسموا الحدود الجغرافية، إلى أولئك الذين قسّموا العالم الى مجموعات وقالوا أنتَ لبناني، أنتَ ألمانيّ».

بالنسبة إلى كلّ من دزيكزينيفا وغصيني، إنّ الأحاديث العميقة

2 | ou.edu/deptcomm/dodjcc/groups/02B2/Literature_Review.html

والمعقّدة عن الهجرة لا تحصل. والأمر يعود جزئيّاً إلى النقص في التنوّع بين الصحافيين، المحرّرين والناشرين. وكما يقول كوهين: «إذا كان من هم ناجحون ببراعة بطرح الأفكار لا ينتمون هم أنفسهم الى مجموعات متنوّعة من الناس، فلا يمكن للقصص أن تكون متنوّعة».

إنّ التنوّع في معدّي المواضيع يُترجم بتنوّع في المواضيع لأنّ المصالح والآراء تكون أكثر تنوّعاً.

يقول سميح محمود، الصحافيّ التصويريّ العامل في مخيّمات اللاجئين في لبنان، أنّ الصحافيين المقيمين في المخيّمات يتفهّمون هموم الشعب بشكلٍ أفضل: «ما يختلف بالنسبة اليّ كصحافيّ في المخيّم هو أنّ حياتي في حدّ ذاتها عبارة عن بحث. إنّ المواضيع التي أغطّيها تتعلّق بوضعي الخاص، وبالتالي لا داعي لإجراء البحث في الخارج».

لكنّ محمود يعارض فكرة أنّ اللاجئين عليهم أن يكتبوا فقط عن «شؤون اللاجئين»، تماماً كما أنّ النساء لا يكتبْنَ فقط عن مشاكل النساء وأنّ أقلّية محدّدة لا تكتب عن جماعتها الخاصة.

لقد أتاه يوماً صحافيّ وسأله عن رأي سكّان المخيّم في الاحتباس الحراريّ، فأجابَه: «نحن لا نفكّر في هذا الأمر، فنحن نعاني من مشاكل في الكهرباء، والماء، والأمن، وأنت تأتيني لتسألَني عن الإحتباس الحراريّ؟» ويضيف محمود: «ثم عدْت وقلت في نفسي لمَ لا؟ على الناس هنا أن يكوّنوا آراءً في مسائل أُخرى أيضاً».

«إنّه لمهمّ أن يلعب الإعلام الدور في تثقيف الناس وتوسيع آفاقهم».

يعمل محمود في المنصّة الإعلاميّة الإلكترونيّة «كامبجي»، التي تحظى بشعبيّة واسعة في مخيّمات اللاجئين في لبنان. ومع أنّهم يغطّون بشكلٍ أساسيّ المواضيع المرتبطة بالحياة في المخيّمات، إلّا أنّهم يناقشون أيضاً مسائل مختلفة عديدة.

في أرشيفهم، تقارير مصوّرة عن المساواة الجنسية، عن الجالية الأرمنية في لبنان، عن الثورات، عن الربيع العربيّ، وعن إنفجار مرفأ بيروت في 2020. وهم لا يعتقدون أنّه يجب على اللاجئين أن يحصروا اهتمامهم في «قضايا اللاجئين». يقول محمود في هذا الصدد: «إنّه لمهمّ أن يلعب الإعلام الدور في تثقيف الناس وتوسيع آفاقهم».

لقد عبّر العديد من المشتركين في ورش العمل عن تفضيلهم للقصص

القصيرة، أي لمقتطفات من الحياة اليومية للأفراد بما لا يحصرهم في فئات فردية كـ «مهاجر» أو «لاجئ».

يجري سيمون سبيرا طالب الدكتوراه الإيطالي، بحثاً عن موضوع التربية غير الرسميّة ضمن جماعات اللاجئين في لبنان، فيقول: «في علم الإنسان، عادةً ما نبدأ الأبحاث من خبرات الأشخاص الحياتيّة. إنّ بحثي هو عن التربية بشكلٍ عام إنّما تلك المرتبطة بالنشاط السياسيّ، وهو ينظر بصورة محدّدة الى المبادرات السوريّة في لبنان.

أهدف الى تخطّي نقطة التربية لدى اللاجئين كخطّة طوارئ لمواجهة الأزمات الإنسانيّة، عن طريق النظر الى اختبارات اللاجئين وطرق إنتاجهم أثناء الأزمة.

وبهذا، تكون الوكالة (الإعلامية) مسنَدة الى الإعلاميين الفاعلين أنفسهم».

ويعمل عمر سعادة مع منظّمة غير حكومية دوليّة أثناء ورش العمل، إذ كان ينتج لها التقارير المصوّرة عن مسائل اللاجئين، وهو يشكو من النقص في التنوّع في المواضيع التي طُلِبَ منه تغطيتُها: «لم أجد أيّ قصة تتناول القرى التي نزح منها الأفراد، أو كيفيّة عملهم معاً في المخيّم، كما ليس ما يأتي على ذكر هذا المزارع (اللبنانيّ) الذي قال أنّه سيأسف فيما لو عاد النازحون الى بلادهم بسبب الصداقات الجديدة والعديدة التي اكتسبها بفضل المخيّم».

وصرّحت الصحافية في برلين فاطمة الحجّي التي كانت تعدّ تقارير عن مسائل النازحين في لبنان، أنّها تفضّل هي أيضاً المواضيع اليوميّة: «إنّ هذه المواضيع تعكس الوجه الإنسانيّ للحياة، ومشقّات الناس اليوميّة، كما تصوّر خلفيّات الناس، وأصولهم، وسبب تواجدهم حيث هم».

حتى لو بدت الكتابة عن حياة الناس اليوميّة أقلّ تعقيداً، إلّا أنّ الواقع مختلف. فـ «المواضيع القصيرة» تتطلّب الوعي نفسه، كما السلوك المنعكس على الذات، والنظر الى الإمتيازات والمقامات.

«يجب أن نتواصل مع الجماعة قبل تحديد المواضيع الهامّة».

وأفادت الكاتبة الألمانية سام موستلين أنّه عند البحث عن تاريخ الأقلّيات في ألمانيا، لاحظت أنّ للقصة أبعاداً عديدة: «كانت هناك وجهات نظر يهودية، وأخرى فئوية ومثليّة، ولم تحاكي أيّ منها خبرتي الشخصية».

وشكّكت موستلين في سلطة الكتّاب الخاصة عند التطرّق الى موضوع يمكن أن يُطرَح من جوانب عديدة: «أعتقد أنّه لا يمكننا أحياناً أن نقدّم الموضوع كاملاً، أي أن نقول الحقائق كافة الخاصة بالناس كافة. بل علينا أن نعي أنّه لا يمكن لأحد أن يجيب على جميع التساؤلات، وكلّ تقرير يبقى جزءاً من خبرة شاملة».

وذكر العديد من المشتركين في ورش العمل أنّه على الصحافيين أن يبحثوا عن مواضيع تهمّ الجماعة التي يغطّونها عوضاً عن الحضور مع أفكارهم المسبقة. الحجّي التي كانت قد تناولت مسألة الهجرة في لبنان قالت أنّ صحافية صديقة سألتها عن ماهية المواضيع التي يجب أن تتطرّق اليها في تغطيتها لمخيّمات اللاجئين: «نصحْتُها أن تتواصل مع الناس مباشرةً، لأنّ لكلٍّ خبرة مختلفة عن الآخر. طبعاً ثمّة مواضيع عامة تهمّ الجميع، غير أنّه يوجد أيضاً خبرات فرديّة عديدة. لذا، يجب أن نتواصل مع الجماعة قبل تحديد المواضيع الهامّة».

وكان لمحمود وزميلته ريان سكر من كامبجي آراءٌ مشابهة. يقول محمود: «حين نفرغ من الأفكار، نخرج الى الساحات لنحاور الناس. أحياناً، لا نكون بحاجة لنسأل حتى، إذ يقوم الناس في الحال بإخبارنا قصصهم، وبطرح همومهم».

إنّ الناس غالباً ما يطلبون أن يظهروا في تقارير كامبجي المصوّرة. تقول سكّر:

«يرسلون إلينا الرسائل عبر الفايسبوك، ونحن لا نملك الوقت الكافي للعمل على كلّ هذه القصص. قد يقول أحدهم مثلاً: «أنا أعيش في مخيّم نهر البارد، هل يمكنكم عرض قصتي؟» وقد تقول فتاة تلعب بالكرة: «أنا رأيت التقرير الذي أعددتِه، هل يمكنك أن تحضري وتقابليني»؟ وهذا الأمر يفرحنا كثيراً».

ومع ذلك، إنّ السماح للجماعات بتعيين المواضيع ليس بالأمر السهل. إذ تلعب عوامل عديدة دورها في تحديد الإطار الذي ستوضع فيه القصة في الإعلام: أرقام القراءات، التمويل، المواضيع التي تهمّ الناس في الوقت الحالي (trends).

ويرى سبيرا، طالب الدكتوراه في ايطاليا أنّ الطلّاب والإعلاميين يلعبون دورا هامّاً في تسليط النظر على العديد من المواضيع. فيقول: «إنّ وسائل الإعلام قادرة أن تنشر الفكر النقديّ على إطار واسع، لكنّ الإعلام لا يكون أبداً مستقلّاً بصورة تامّة لأنّه مرتبط دوماً بهيكليات سياسية واقتصادية».

وروى المنتج السينمائي سعادة كيف أنّه كان يشعر غالباً بالضغط ليختار المواضيع التي تهمّ المموّلين. «لقد أعددنا الأفلام لننشر ما يريد مشاهدته المموّلون. فنحن إذا أردنا أن نفوز بالدعم الماديّ، علينا أن نصوّر المأساة، وهذه وسيلة لا تروق لي.

والأسوأ هو الأثر الذي تتركه هذه التقارير على جماعات النازحين. إذ اعتادوا أن يتمّ تصويرُهم على هذا الشكل. فحين ذهبت لتصويرهم، ارتدوا هذا

الوجه مجدّداً».

وقد حاول سعادة في بعض الأحيان أن يقترح على المنظّمة تغطية مواضيع أُخرى: «لقد حاولت ذات مرة أن أطرح فكرة تقرير عن الأعراس في المخيّم، وعن عزف النازحين المستمرّ على آلات موسيقيّة، وعن الدور التي تلعبه الموسيقى في حياتهم، فباءت محاولاتي بالفشل. وأنا لا أفهم لماذا يتمّ حرمان الناس من الأساليب التي تجعلهم أكثر قوةً؟»

«هل سبق أن شاهدتم تقريراً عن فلسطينيّ ينجح؟».

تعتقد سكّر من كامبجي أنّ وسائل الإعلام الرئيسيّة تغفل تصوير الجماعة الفلسطينية في البلاد بصورة واقعيّة. «هل سبق أن شاهدتم تقريراً عن فلسطينيّ ينجح؟ والأمر نفسه ينطبق على النازحين السوريين. نحن لا نسمع مطلقاً بقصص إيجابيّة.

إذا لم نُظهِر الجانب الإيجابيّ من الحياة، كيف سيحظى الناس بمعرفتهم؟»

تقول الصحافيّة الأمريكية العاملة في لبنان آبّي سوويل: «لقد تراوحت التغطية العامة للهجرة في الأعوام الأخيرة الماضية بين جيّدة وسيّئة، كما افتقرت العديد من التقارير الى العمق. نحن نرى مختلف التغطيات. ففي أوروبا والولايات المتحدة، يتمّ تغطية أزمة النازحين بصورة أساسيّة من حيث مفاعيلها على الدول المضيفة، عوضاً عن تغطية سبب نزوح هؤلاء الأشخاص». إنّ هذه الوسيلة، بحسب سوويل، «تجرّد أشخاص التقرير من إنسانيتهم، وتخلق الخوف والحقد غير المبرّرَين في جانب المشاهدين والقرّاء».

وتضيف سوويل «أنّ الذعر يتملّك الناس إذ يعتقدون أنّ النازحين سيأتون الى بلادهم ويغيّرون مجتمعاتهم. وحتى لو تمّ تناول القصص الإيجابية، كمثل قصة السوري الذي فتح محلاً للحلويات في برلين، يتمّ تجاهل ماضي هؤلاء الأشخاص، فربّما كانوا من الأطبّاء في بلادهم قبل الهجرة، ومع ذلك، لا يُذكر هذا الأمر مطلقاً بتاتاً».

وعن عملها الخاص في تغطية الهجرة، تؤمن سوويل أنّه قد يحقّق شيئاً ما: «أعتقد أنّ عملي قد يساعد الناس على فهم محيطهم. إنّ قناعتي في أنّ للإعلام أثراً مباشراً في الواقع –كمثل تأثيره في اتّخاذ القرارات- تتضاءل شيئاً فشيئاً. ومع ذلك، أؤمن بأنّه يمكننا أن نساعد الناس على فهم العالم بشكل أفضل. وهذا يعني انّ اختيار مواضيع جاذبة لا يخلو من الأثر. وإذا سلّمنا جدلاً بمقولة كوهين عن أنّ الإعلام يمكنه تحوير نظر الشعب، فهذا يجعل الأثر عظيماً».

الأسئلة في هذا الفصل:

لماذا يُكتب عن مواضيع أكثر من غيرها عند تغطية أخبار الهجرة؟

ما الذي يمكن اكتسابه عن طريق القصص اليومية والأخبار «الصغيرة»؟

كيف يمكن للتنوّع بين رواة القصص أن ينعكس تنوّعاً في القصص؟

الفصل الثالث

الإعداد

الإعداد

ترتبط الخطوة التالية لعملية كتابة التقارير، أي الإعداد، بشكلٍ وثيق بعملية اختيار الموضوع. غالباً ما تبدأ مرحلة الإعداد حين يتساءل معدّو التقارير عن المواضيع المثيرة للإهتمام من أجل تغطيتها. بعد ذاك، يبدأ معدو التقرير بالتفكير بموضوعهم من الناحية التحليلية والنقدية ويباشرون بوضعه ضمن إطار خاص.

تضع مرحلة الإعداد حجر الأساس للقصة، وذلك بطرقٍ مختلفة، منها عبر الأبحاث الكتابيّة والمطالعات، والتحضير للمقابلات، وتمضية الوقت في الأماكن المرتبطة بالقصة وفي المناطق المجاورة لها.

وفي رأي الطالبة والكاتبة في فرنسا شهرزاد: «الأمر الأساسي هو الإصغاء للأشخاص والمطالعة عن الموضوع. إذا كنتَ تريد أن تطرح أسئلة عن الهجرة، عليك أن تكون مطّلعاً عليها بصورة مسبقة».

يرى العديد أنّه من البديهيّ أن يبحث معدّو التقارير عن المواضيع التي يتناولونها، لكنّ الأمر لا يقتصر على القيام بالمطالعات، بل يشمل طبيعة هذه المطالعات.

يقول عمر سعادة، منتج الأفلام لدى منظّمة غير حكومية تُعنى باللاجئين، أنّه يلتقي في أغلب الأحيان بأشخاص من الخارج، من زائرين للمنظّمة كما صحافيين، يحضرون مع بعض القناعات المسبقة: «إنّ نوعية الأسئلة التي يطرحونها هي عادية وتؤدّي إلى تشابه في نمط القصص»، ويعزو سعادة سبب هذا السلوك الى عدم اجراء البحث عن الموضوع من قبلهم، والاكتفاء بأفكارهم المسبقة عن الموضوع: «لقد أتوا وفي ذهنهم صورة مسبقة عن البلاد، ولم يأتوا بنيّة اكتشاف أيّ جديد ههنا».

ويقول سميح محمود من منصة كامبجي التصويريّة أنّ معدّي التقارير الذين يأتون من خارج المخيّمات تنقصهم غالباً المعرفة: «لا يقومون بأبحاث عميقة مسبقا، ما لم يكونوا من الصحافيين الذين يمضون وقتاً في المنطقة من أجل اكتشافها قبل كتابة قصصهم».

«الأمر يعود الى عدم وجود مصادر كافية لدى المخيّمات، وسكّانها، عن طبيعة الحياة فيها».

لكنّ البعض يستند الى مصادر ومعلومات مكتوبة من منظار خارجيّ، فيجري إذاً البحث من مراقبة خارجيّة للداخل. وهذا، في رأيه، هو نتيجة مشكلة أكبر

تتخطّى معدّي التقارير أنفسهم: «الأمر يعود الى عدم وجود مصادر كافية لدى المخيّمات، وسكّانها، عن طبيعة الحياة فيها».

قد يكون من السهل على الصحافيين ومعدّي القصص عن الإغتراب أن يلجئوا إلى مصادر متاحة على نطاق واسع ومنشورة في مراجع ومؤسسات معروفة. وهذا ليس بخطأ، فهم غالباً مطّلعون جيّداً ومتفهّمون مع الأشخاص. لكنّ الآراء المحليّة المستمدّة من هؤلاء الأشخاص غالباً مفقودة في هذه المنشورات. وفي حال وُجِدت، فهي غالباً آراء «خارجيّة»، من كتّاب يأتون من فئة الأثرياء أو من مناطق في الغرب، وليست آراءً من عند اللاجئين ومن المجتمعات النازحة.

إذا ما استند معدّو التقارير فقط على هذه القراءات، سيفتقرون إلى جوانب مهمّة من القصة. لذلك، يتطلّب الإعداد الجيّد للقصة النظر إلى أبعد ممّا تراه العين. هذا يشمل الإطلّاع على منشورات وأفلام محليّة، حتى لو أدّى الأمر إلى زيادة في أوقات البحث (وغالباً أوقات الترجمة أيضاً). إنّ هذه المنشورات قد تكون مقالات صحفيّة محليّة، دواوين شعر، قصص قصيرة، تدوينات صوتيّة، ومواضيع منشورة على مواقع التواصل الإجتماعيّ.

وتحدّثت شهرزاد عن أهميّة تجاوز التغطية التقليديّة: «لا شكّ أنّ وسائل الإعلام العادية هي مصادر نافعة، غير أنّه يجب أيضاً قراءة المدوّنات، والمنصّات الصغيرة الأخرى، خاصةً إذا شئنا أن نفهم كيف يعيش الناس. إذا شئنا الكتابة عن جماعة معيّنة، يجب أن نقرأ ما يكتبه أفراد من هذه الجماعة»، وترى شهرزاد أنّ وسائل التواصل الإجتماعيّ قد تكون نافعة من أجل فهمٍ أفضل لحياة الغير، فتتابع بالقول: «تسهّل هذه الوسائل اكتشاف أمور جديدة وانفتاح الفكر. فحتى لو لم تكن صديقاً مع أحدهم، يمكنك متابعة ما يكتب. فأنا أتعلّم الكثير عن واقع الأشخاص بهذه الطريقة».

بالنسبة الى لور مكارم الذي يعمل مع العاملات الأجنبيات في حركة مناهضة العنصريّة في لبنان، إنّ البحث يؤثّر في نوعية العلاقات التي ستربط الصحافيين وغيرهم من معدّي التقارير مع الأشخاص الذين يقابلونهم من أجل تقاريرهم.

«وخير مثال هو إحداهنّ ممّن طالعت كثيراً حتى تنبّهت إلى أنّ المعلومات في هذا المجال غير محدودة، فأرادت الإضافة إلى المراجع المتوافرة، وهذا أمر ممتع، فهي لم تأتِ بنظرة مسبقة عمّن تريد مقابلتهم، وهو عادةً ما يحصل. فالناس تأتي وتقول: «أريد فتاةً عانت من الإتجار بالبشر» أو «أريد مقابلة جماعة الفيليبينيات»، أما تلك الصحافية فلم تفعل هذا الأمر».

وشرح مكارم كيف يتعاون معدّو التقارير والجمعيات الإنسانية

في إنتاج القصص عن الهجرة. فحين يقوم معدّو التقارير بتصوير أماكن لا يعرفونها، تعتمد التحضيرات على مصادر الجمعيات العاملة في هذه المناطق وعلاقاتها الخاصة. وتكون المنافع متبادلة، فمن جهة يحظى معدّو التقارير بالوصول الى أماكن غير مألوفة منهم، ومن جهة أخرى تحظى المنظّمات بتغطية إعلامية لمشاكل تعمل عليها.

ومع ذلك، قد يحصل أحياناً شرخ بين معدّي التقارير والأشخاص الذين يتناولهم التقرير. فبحسب مكارم: «قد يغفل الصحافيون والمراسلون ميزان القوى في علاقتهم مع الأشخاص الذين يتناولونهم، فهم لا يهتمّون بهؤلاء الأشخاص إلّا بحدود جمع المعلومات وإعداد قصة لموضوعهم. فتكون حينها العلاقة أحادية الجانب، وتجاريّة».

«قد يغفل الصحافيون والمراسلون ميزان القوى في علاقتهم مع الأشخاص الذين يتناولونهم».

تذكّرت ضحى قاضي من منظّمة سوى للتنمية والإغاثة إحدى الحالات التي كان فيها الإعداد جيّداً إلى حدّ أنّه أتى بنتيجة مثمرة: «لقد صوّرنا سلسلة من الشهادات لأشخاص تضرّروا في الحرب اللبنانية أو في حوادث في لبنان. وكان الأمر معقّداً للغاية، ومريعاً، لأنّه لا يمكن جرّ هؤلاء الأشخاص إلى الكلام دون أن يعيشوا الصدمة مجدّداً».

لقد عملت قاضي حينها مع عاملة اجتماع وأمضت وقتاً هائلاً في شرح غاية التقرير للأشخاص المحتمَل مقابلتهم. «إنّ إيجاد الأشخاص كان صعباً، فقط ثلاثة من أصل ثلاثين شخصاً أرادوا التحدّث إلينا. لكنّهم كانوا بغاية الإيجابية ما سهّل علينا الأمر، وصعّبه في نفس الوقت إذ كان علينا أن نحترم أيضاً هؤلاء الأشخاص واندفاعهم».

غالباً ما تعتمد القدرة على الإعداد على معايير عدّة كالوقت والمصادر المتاحة لمعدّ التقرير وكلا المعيارين ليسا بغير محدودَين، لذا يجب تحديد الخيارات والأولويّات.

وقالت ريان سكّر من «كامبجي» أنّها لو أُعطيَت الخَيار، لما أعدّت تقاريرَ في مناطق لا تعرفها. «أفضّل الحديث مع شخص من منطقتي» كما تقول، «إذ إنّ المجال متاح دائماً للإعداد حتى خلال مهل قصيرة. لا أعتقد أنّ عذر الوقت هو عذر سديد، فمن السهل إجراء الأبحاث في أيامنا هذه، ثمة معلومات متوافرة في الجماعة، كما ثمة وسائل التكنولوجيا. يمكنك إرسال رسائل صوتية طويلة، أو الحديث على الهاتف، كما التقرّب من الشخص الذي ستقابله، والإطّلاع على صفحته على فيسبوك لمعرفة اهتماماته. وإلّا، فلتعملْ على قصص يمكنك الوصول إليها من منطقتك».

ومع ذلك، يبقى الصحافيون ومعدّو التقارير في المنظّمات رهنَ القوى

والسلطات التي تحكم مؤسساتهم. فالقرارات يتّخذها المنتجون وكبار المحرّرين في غرف الأخبار، فيما يقدّم المالكون الموارد المالية. في نهاية المطاف، تعتمد المنظّمات غير الحكومية على المموّلين الذين غالباً ما يعيشون بعيداً. ويتفهّم مكارم من حركة مناهضة العنصرية موقف الصحافيين الذين يُطلَب منهم تناول مواضيع لم يختاروها بأنفسهم، وتقدمة تقريرهم خلال مهلة خمسة أيام. فيقول: «من المعيب القول لهم أنّنا نرفض العمل معهم أو أن يذهبوا إلى منظّمة أخرى لمقابلة عاملة أجنبية فيها وإحداث ضرر في غير مؤسستنا.»

ويتابع مكارم: «عوضاً عن ذلك، يمكننا كمنظّمات أن نطلب من الصحافيين إطلاعَنا مسبقاً على غايتهم، وعلى موضوعهم الأساسيّ، وعلى أسئلة المقابلات، ومعاييرهم الأدبية والتفاصيل التي ستُنشَر. إنّ هذا الإجراء هو اختبار شخصيّ للصحافيين، إذ ينبّههم إلى مسؤوليتهم عن القصة».

لكلّ من يعدّ التقارير عن الهجرة، إنّ مرحلة الإعداد هي لوضع التصميم. ففي هذه المرحلة يظهر توجّه القصة، والنمط الذي ستسري عليه منذ ذلك الحين.

إنّ عوائق الوقت والمصادر هي عوائق فعليّة، لذا يُلزَم بعض الصحافيين بالتوقّف عن بحثهم قبل معاينة الموضوع من الزوايا كافةً.

ومع ذلك، وبحسب العديد من المشاركين في ورشة العمل، ثمة العديد من الأساليب التي يمكن أن يلجأ إليها الصحافيّ من أجل أن، وكما قالت سكّر من «كامبجي»، «من أجل ألّا يأتي على غفلة، ويطرق الباب، ويقول لأحدهم: «اريد مقابلتك عن هذا الأمر أو ذاك».

إذا طغى الصدق والشفافية على مرحلة إعداد القصة، لا بدّ أن يتجلّى هذا الأمر في القصة التي يتمّ إعدادها.

الأسئلة في هذا الفصل:

ما هي الأبحاث حول الهجرة التي يقوم بها الرواة عادة؟

كيف يمكن للرواة التحضير من أجل تغطية أفضل وأكثر تنوّعاً؟

ما هي بعض الوسائل التي تسمح بأبحاث وتحضيرات أكثر محليّة؟

الفصل الرابع

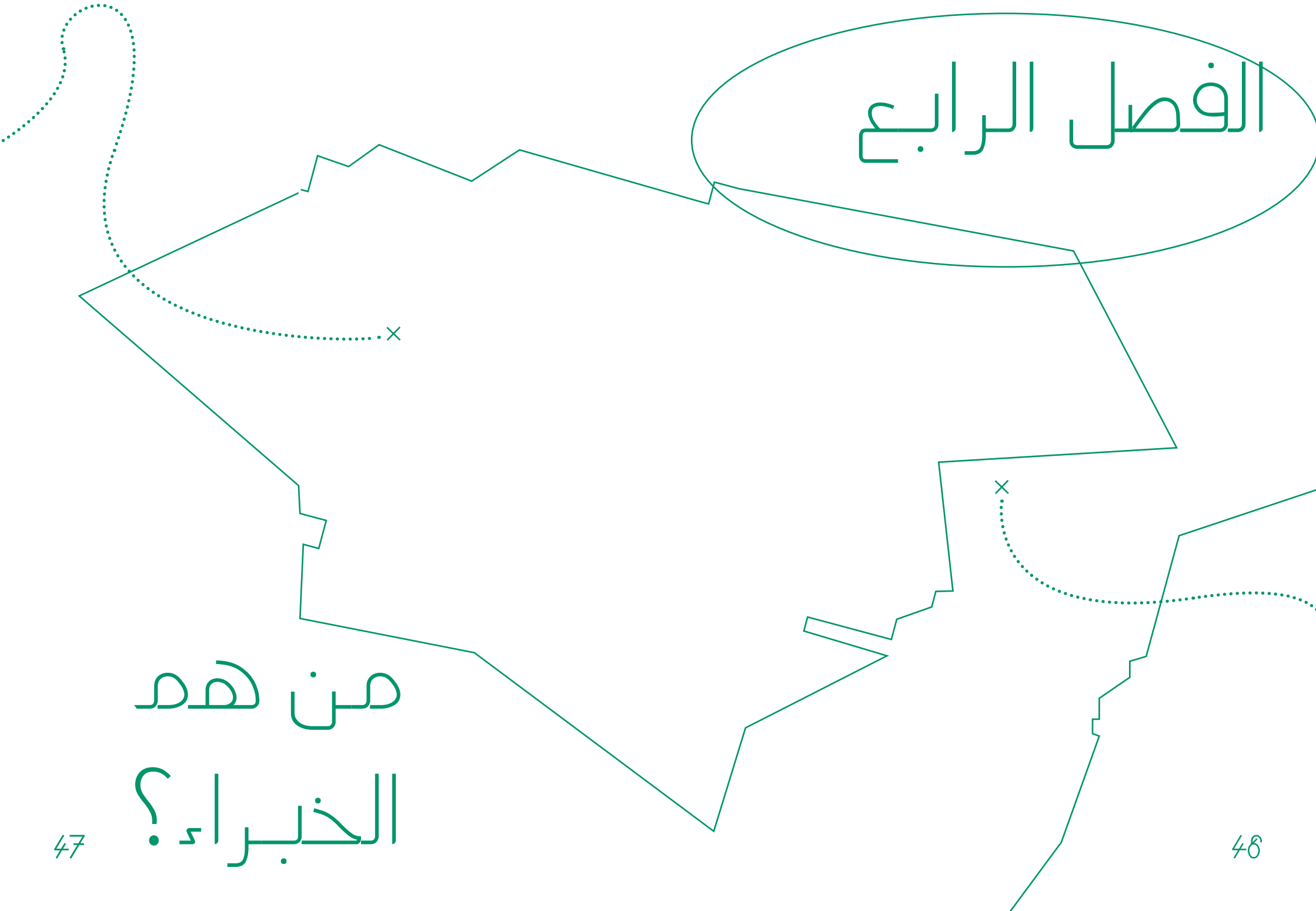

من هم الخبراء؟

من هم الخبراء؟

لقد طُلِبَ منا في الفصل الأول أن نحدّد هوية معدّ التقرير لكيما نفهم لماذا يتمّ تغطية موضوع الهجرة من نواحٍ محدّدة. وفي هذا الفصل، نحن مدعوون لنسأل أسئلة مشابهة عن السلطات والخبراء المذكورين في المقالات والمنشورات. من هم الأشخاص المخوّلون مشاركة معرفتهم وآرائهم؟ كيف يقوم الصحافيون بإيجادهم وبتقديمهم في قصصهم؟ من يتمّ تقديمهم على أنّهم خبراء ومن هم من يُطلق عليهم الصحافيون والمحرّرون تسمية «حالات»، أي أفراد يُطلَب منهم مشاركة الأمور بحسب خبراتهم الحياتية الشخصية؟ وعليه، ما هي المعلومات التي تُقدَّم على أنّها قيّمة وسديدة وتلك الشخصية وغير المهمّة؟

في كلا العِلم والإعلام، الخبراء هم غالباً من الذكور، من ذوي العرق الأبيض ومن الغرب. النساء يظهرن أقلّ بكثير في موقع السيطرة، كذلك الأمر بالنسبة الى الأشخاص السود ومن هم من أصول أخرى.

كلّما اعتدنا على هذا الأمر، كلّما اقتنعنا ـ غالباً لا شعورياً ـ أنّ الخبراء الذكور البيض الغربيين هم قيّمون وأهل للثقة أكثر من سواهم.

بالفعل، فإنّ اللوائح المقتصرة على الذكور كانت أكثر شيوعاً حتى أنّه تمّ تخصيص مصطلح لوصف هذه الحالة: «اللوائح-الذكورية». كما إنّه من الشائع[3] أن يتمّ تكليف النساء بمهمة تنظيم هذه اللوائح بدلاً من ورودهن على اللوائح، ما يسمح لهن برفع أصوات أخرى، من دون أن يسمح لهنّ بفرض أنفسهنّ كمهيمنات في هذا المجال.

كذلك، إنّ غياب الأصوات المنتمية الى خلفيّات مختلفة تروّج لفكرة أنّ الأصوات الغربية أكثر سيطرةً من سواها. لقد ذكرت العالمة الكولومبية الصحافية أنجيلا بوسادا سوافورد في حديث[4] عن الخبرة اللاتينو-أمريكيّة في العلوم أنّ الباحثين من خارج الغرب غير مذكورين بصورة كافية، تماماً كدوامّة مفرغة: فطالما أنّ خبرتهم تُعتبَر أقلّ أهميّة، هم أقلّ ظهوراً من زملائهم الغربيين.

كلّ هذا مضرّ ليس فقط للخبراء والباحثين، بل أيضاً لنا بشكلٍ عام، كقرّاء ومشاهدين ومستمعين. نحن نُحرَم من العديد من وجهات النظر والآراء، وبالتالي نحظى بفرص أقلّ لفهم العالم بشكل شامل وأكثر دقّة.

3 | opensocietyfoundations.org/uploads/c3f34e39-bcc2-43bc-9cca-cab57e445869/an-end-to-manels-20180308.pdf

4 | theopennotebook.com/2019/09/24/invisible-science-why-are-latin-american-science-stories-absent-in-european-and-u-s-media-outlets

العديد من أحاديثنا في ورش العمل تمحورت حول مسألة من يُعتبر خبيراً أو مرجعاً. يقول لور مكارم من حركة مناهضة العنصرية في بيروت أنّ الصحافيين يأتون إليهم مع قناعات ثابتة حول من هو الخبير ومن ليس بخبير: "يكون الأمر أحياناً واضحاً بشدّة».

يتابع مكارم: «في البدء يريدون الحديث الى أحد من المنظّمة ثم يستحصلون على إفادة من أحد الأعضاء»، ويعني بها أعضاء مركز العاملات المهاجرات التابع للحركة: «تجدون الفرق خلال الندوات إذ يكون الخبراء من العرق الأبيض أو من اللبنانيين في حين تكون العاملات الأجنبيات هناك فقط لمشاركة قصصهن- على الرغم من أنّ العاملة الأجنبية يمكنها الحديث بشكل أعمق عن نظام الكفالة (المسوغ القانوني الذي ينظّم العمالة الأجنبية في لبنان) من أيّ واحد فينا». ويضيف مكارم أنّ العديد من الصحافيين لا ينظرون إلى العاملات على أنّهن مصدر معرفة: «لا يشركونهنّ في عملية إنتاج المعرفة. ويتكلّمون معنا نحن بشكل مختلف. كأحد الأعضاء العاملين في الحركة، أتلقّى أسئلة أكثر تحليلاً أو أكثر تطلّباً لتفكير نقديّ».

> «أنتم لستم خبراء فيما تواجهه جماعتهم، بل هم الخبراء في ذلك».

وبحسب ضحى قاضي من منظّمة سوا للتنمية والإغاثة، إنّه لمن المهمّ رؤية خبرة الشخص المغترِب كخبرة عملية: «اطلبوا من المهاجرين إرشادكم ومساعدتكم في أبحاثكم. أنتم لستم خبراء فيما تواجهه جماعتهم، بل هم الخبراء في ذلك».

ولكن، في الحقيقة، ليس هذا ما يفعله الصحافيون غالباً. فعلى الرغم من أنّ العمّال الأجانب واللاجئين يحظون بفرصة مشاركة قصصهم الخاصة، فهم نادراً ما يُسألون عن القضايا السياسية والإقليميّة المهمّة، كمثلِ تحليل الأسباب خلف النزاعات التي أدّت بهم الى اللجوء أو النزوح.

كتب الباحث والناشط السوري رفاعي تمّاس مقالاً[5] عن دعوة تلقّاها من التلفزيون الاسترالي للحديث عن القصف الجويّ على سوريا. وبدلاً من السماح له بالتعليق، وجد نفسه يظهر لثوانٍ معدودة «دامعاً، وتحت صدمة عنيفة، لدى ذكر خسارتي لشقيقي ووالدي». فيما استمرّ التقرير مع محلّل استراليّ أبيض أعطى رأياً «موضوعياً» وتحليلاً فقهياً للحالة.

في بعض الأحيان، لا يتمّ التطرّق قطعاً للعمّال الأجانب واللاجئين. فقد أقامت منظّمة «المرأة في الأمن الدوليّ» ندوة عن مفاعيل الأزمة السورية على النساء، دون أن تظهر أيّ امرأة سورية في اللوحة. كذلك، في شباط 2021، لم تضمّ اللائحة المتعلّقة بسياسات إدارة بايدن في سوريا أيّ شخص سوريّ.

5 | opendemocracy.net/en/refugee-stories-could-do-more-harm-good/

6 | undark.org/2016/07/25/ferocious-dinosaur-in-visible-scientists-argentina/

فقط مؤخراً، تمّ ضمّ أحد السوريين-الأمريكيين للائحة الخمسة أشخاص.

مثل آخر هو اكتشاف أحفوريّ عام 2016 خاص بديناصور عملاق من قبل فريق علماء آثار في الأرجنتين[6]، إذ قامت العديد من المنصّات، بما فيها صحيفة النيويورك تايمز، صحيفة الغارديان، ومحطة البي-بي-سي، و«ساينس دايلي»، بالاكتفاء بذكر العلماء الأمريكيين من الفريق، دون أيّ عالم أرجنتينيّ.

هذا التصوير الدونيّ في الإعلام وغير الإعلام للآراء الفنيّة غير الغربيّة لا يشارك بالتعتيم على مجموعات كاملة من الأشخاص في القضايا الدولية وحسب، إنّما يحدّ من فهمنا للعالم ككلّ، كونه يقدّم عدداً محصوراً من الآراء.

«أنّ الأمر الأساسيّ الذي يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار هو أنّ جميع الأشخاص يملكون المعرفة».

في الحقيقة، إنّ المفارقة التامّة بين أراء الخبرة وما يُسمّى «الحالات» ـ الذي يقضي بأن يقوم الخبراء بالتحليل وإعطاء الآراء فيما تقوم «الحالات» بمشاركة خبرتها الشخصية ـ تؤدي إلى حصر مفهوم المعرفة بحدّ ذاته. فهو يوحي بأنّ الأبحاث العلميّة وحدها تشكّل المعرفة دون تلك الناجمة عن الخبرة الشخصية.

وتقول طالبة الدكتوراه البولونية إنجا هايداروويتش «أنّ الأمر الأساسيّ الذي يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار هو أنّ جميع الأشخاص يملكون المعرفة، إذا لم تفعل، يكون البحث حتماً غير ذي نفع».

وتتابع هايداروويتش قائلةً: «إنّ لهذا النوع من المعرفة قيمة تفوق المعرفة التقنية والمهنية». كما يقول مكارم من حركة مناهضة العنصرية أنّ الصحافيين الذين يطلبون مقابلة العاملات الأجنبيات لا يفكّرون بهذه الطريقة. «إنّ الأشخاص مصنّفون ولهم سيرتهم الخاصة. أشعر بأنّه على الصحافيين تقدير خبرات الأشخاص وصبّ الاهتمام في قصص عديدة. لكنّهم لا يرَون العاملات الأجنبيات كمصدر معرفة في مجال الهجرة».

إنّ اكتشاف العديد من الآراء والخبرات يتطلّب مجهوداً شاقاً. فالاستبيان[7] الذي قامت به «إكسبرت صورسز» في العام 2019 بالتعاون مع وكالة أنباء «أسوشييتد برس» وجد أنّ الصحافيين يبحثون عن المصادر ضمن ثلاث فئات: إما فيما بين معارفهم، وإما عبر صفحة البحث غوغل، وإما بإحالات من زملائهم.

وهذا ما يعيدنا الى التحقيق الذي قمنا به في الفصل الأول: من هم معدّو القصص؟ بشكل عام، وفيما يتعلّق باستقصاء المعلومات، نميل كأفراد إلى تفضيل الأشخاص الذين نعتبرهم مشابهين لنا. النقص في التنوّع بين الصحافيين ومعدّي التقارير يقود إذاً إلى نقص التنوّع في المصادر. وقد شاع في عالم الإعلام أنّ «من تعرفه هو ما تعرفه». إذاً من أجل نشر ما نعرف يجب علينا أولاً توسيع نطاق من نعرفهم، ومن نطلبهم من أجل استقاء المعلومات ومشاركة الخبرة.

7 | expertfile.com/expert-sources-survey/

هناك العديد من الأساليب المتوافرة لمعدّي التقارير من أجل استشارة أهل الخبرة المنتمين الى خلفيّات مختلفة. ومن أجل المساعدة في تحديد وجهات النظر الناقصة، يتمّ اعتماد معيار مراعاة الإنحيازات ـ أي عن طريق التأكّد من أنّ من ستقابلهم هم متنوّعون من حيث الجندر، والهويّة، والخلفيّة. كما انّه بدلاً من اللجوء الى الأكاديميين في الجامعات الغربية، يمكن لمعدّي التقارير الاتصال بباحثين من أماكن مختلفة في العالم. ويمكنهم مقابلة خبراء محليين بدلاً من اولئك الذين يحلّلون من بعيد. إنّ مواقع التواصل الاجتماعي هي غالباً المكان الملائم لإيجاد أصوات مختلفة كحساب Cite Black Women على تويتر.

في سياق آخر، إنّه لمن المهمّ أيضاً أن يأخذ معدّو التقارير في عين الاعتبار الإمتيازات، والهيمنات، والأنماط لدى التدقيق في مصادر قصصهم، وأن يستشيروا ال «حالات» كما أهل الخبرة عن المسائل العالقة التي تتطلّب تحليلاً، وأن يعالجوا كافة ما يتلقّونه من معلومات على أنّه خبرة قيّمة ومهمّة، وأن يولوا الخبرات المحلية القيمة نفسها كالآراء الدولية، وأن يسمحوا لكلا الرجال والنساء، سواء من أهل الخبرة أو من «الحالات»، أن يتحدّثوا عن القضايا السياسية والمهنية والعائلية بمساواة فيما بينهم.

تشدّد قاضي من منظّمة سوا للتنمية والإغاثة أنّ المنظّمة تحرص على أسلوب عمل يعتمد على المعرفة المستمدّة من جماعات اللاجئين وخبرتهم: «إذا شاء الأفراد بناء مركز للجماعة مثلاً، نستحصل على التمويل وننظّم الأمور اللوجيستيّة، ثم نتواصل مع البنّائين. غير أنّ الجماعة هي من يقرّر كيفية البناء والهدف منه. نحن نعتبر أنفسنا مجرّد مسهّلين».

وكما ذكرنا في هذا الفصل، هناك العديد من الأساليب من أجل تفادي بعض الأخطاء الشائعة عند البحث عن أهل الخبرة أو عند تقييم المعارف والمعلومات.

وهذا يشمل استعمال خبرات محلية متنوعة، والمساواة بين ما يرد من الخبراء التقليديين وما يرد ممّا يُسمّى «الحالات»، كما الأخذ في عين الإعتبار شهادات اللاجئين والنازحين. فهذا يوسّع ويعمّق مدى فهمنا للهجرة، ورؤيتِنا الدقيقة للدور الذي تلعبه في العالم.

الأسئلة في هذا الفصل:

من هم الذين عادة ما يُستشارون بصفتهم خبراء في موضوع الهجرة؟

عامّة ما الذي يعتبر معرفة خبيرة وماذا لا يُعتبر كذلك؟

أي نوع من الخبرات والأصوات الخبيرة ينقص عادة؟

كيف يمكن للرواة تضمين خبرات أكثر تنوّعا في قصصهم؟

الفصل الخامس

المقابلات

المقابلات

يتحدّث الصحافيون غالباً عن تواجدهم «على الأرض» أو «في الحقل» عند إجراء المقابلات أو عند قضاء الوقت في الأماكن التي يكتبون عنها. غالباً ما يقوم الباحثون بالأمر نفسه، كذلك أيضاً الأشخاص المنتمون الى منظّمات غير حكوميّة.

«أنا سعيدة حين أعمل ويهمّني أن يكون من أقابلهم سعيدين أيضاً».

على الرغم من أنّ هذا الأمر يحدّد جزءاً معيّناً من عمليّة إعداد التقارير، يبقى أنّه مضلّل بمعنى أنّه لا يوجد بالتحديد «أرض» أو «حقل» يطأهما معدّو التقارير. فالمقابلات والتسجيلات، والملاحظات لا تجري في مكان معزول يمكن الدخول اليه والخروج منه، بل تحصل، كما سائر الأمور، في واقعنا المشترك.

تمحورت العديد من المحادثات مع المشتركين في ورشة العمل حول ما يحصل خلال هذه المرحلة من عملية إعداد التقارير، حينما يقابل معدّو القصة أشخاصاً من أجل تقاريرهم.

وقد تمّ التطرّق أثناء الأحاديث إلى أمثلة إيجابية كما سلبية عن تلك المقابلات، وتمّ رفع نقاط يجب أخذها في عين الإعتبار لاحقاً بهدف إجراء مقابلات بصورة أفضل.

بدايةً، تحدّث العديد من الأشخاص عن أهميّة بناء علاقة جيّدة ومحترمة مع الشخص الذي يخبر قصته. تقول ريان سكّر من «كامبجي»: «أنا سعيدة حين أعمل ويهمّني أن يكون من أقابلهم سعيدين أيضاً. وأعي جيّداً أنّه، من أجل الحصول على مضمون جيّد، يجب أن يشعر من نقابلهم بالراحة وأن يسعَوا هم أيضاً إلى التعرّف إلينا».

«على القصص أن تكون محفّزةً».

إنّ بناء هذا النوع من العلاقات يتطلّب إدراك أمور سبق وأن تطرّقنا إليها في الفصول السابقة: أن يعرف كلٌّ وضعيته إزاء الآخر، والتطلّع إلى ديناميات السلطة في كلّ موقف على حدة.

يقول لور مكارم من «حركة مناهضة العنصرية» أنّه يجب على معدّي التقرير أن يعملوا على الشكل الذي يردّ الجميل إلى الأشخاص الذين يقابلونهم: «يجب ألّا تكون العمليّة استغلالا بل أن تنقل السلطة الى الأشخاص الذين يشاركون قصّتهم». وتتابع: «على القصص أن تكون محفّزةً».

تحدثت ضحى قاضي من «سوا للتنمية والإغاثة» عن حضور إحدى الصحافيّات لمقابلة نساء كان أزواجهنّ غائبين أو معتقلين في سوريا. تقول قاضي أنّ «الصحافيّة كانت في غاية الاحترام. لقد جلست معهنّ، لا كصحافية تسجّل تقريراً، إنّما قامت بارتشاف القهوة معهنّ وسألت عن أحوال أولادهنّ».

قبل البدء بالمقابلة، طلبت الصحافية من النساء أن يشاركن فقط بما يرتدّ عليهنّ بالراحة، كما أعلمتهنّ بأنّه، في حال تبدّل رأيهنّ لاحقاً، يمكن لهنّ طلب حذف أيّ جزء من التقرير.

وتابعت قاضي: «لقد بدا الأمر وكأنّه تبادل للأحاديث، كما تمّ تعديله على الشكل الذي أظهر النساء تخبرن عن قصصهن الشخصيّة. إنّه لمن المهمّ بناء الجسور على هذا النحو».

وأعطى المشتركون أمثلة معاكسة أيضاً. فقد قامت ذات مرّة فاطمة الحجّي، الصحافية التي تعيش اليوم في برلين، بترجمة مقابلات الى فريق عمل تلفزيوني في الخارج، وتقول: «لقد كانوا يقابلون امرأة رائعة تترأس منظّمة غير حكوميّة فيما زوجها معتقل في سوريا. ومع ذلك، لم يتعاطفوا معها على الرغم من صعوبة حديثها عن غياب زوجها، بل استمرّوا في طرح العديد من الأسئلة غير اللائقة. لقد استفزّتني طريقة تعاملهم مع هذا الموقف، إذ بدا أنّ تقريرهم أهمّ بأشواط من أحاسيس المرأة وقصّتها».

إنّ مسألة بناء رابط مميّز أثناء المقابلات يعتمد على أسلوب معدّ التقرير. إذا أتى بأفكار وتوقّعات مسبقة، تكون المقابلة على الأرجح من وجهة واحدة وغير متبادَلة. وطالما لم يحصل إصغاء ومشاركة، تخسر المقابلة فرصتها في أن تصبح مميّزة.

يقول عمر سعادة، الذي سبق أن صوّر تقاريرَ لمنظمّة غير حكوميّة في لبنان، أنّه حين قابل عائلات من أجل تقاريره، غالباً ما كان الأفراد يتناولون مواضيعَ مختلفة تماماً: «لقد شعرْتُ بأنّهم يودّون البوح بقصصهم، إنّما يحتاجون إلى المزيد من الوقت للبوح بما لديهم، وهو أمر لا يتقبّله دائماً الصحافيون وسواهم، فعوضاً عن الإصغاء، يقومون بطرح الأسئلة الشائعة، وهذا ما يجعل هذه القصص تتبع بكافتها نمطاً واحداً. فمن الأسئلة التي يطرحونها: «ماذا حصل في سوريا خلال الحرب؟» أو «هل تهدّم منزلكم؟»

ويتابع سعادة بالقول أنّه في بعض الأحيان، كانت تستقبل المنظّمة التي يعمل لديها ضيوفاً من الخارج، وكانوا يتصرّفون وكأنّهم ينتجون فيلماً مصوّراً، إذ، بحسب سعادة، «لم يفسحوا المجال أمام الأشخاص الذين التقوهم بأن يرووا القصص التي كانوا يريدون أن يروونها».

وقال غاري يونج، الذي شغل منصب محرّر في صحيفة الغارديان وعمل كمراسل أمريكي لفترة طويلة، في مقابلة[8] له أنّه «في بعض الأحيان على الأمور التي ليست بقصص أن تكون قصصاً، وأنّ الأجندة الإخباريّة تميل نحو السلطة وأهلها. كذلك، يعتقد الأشخاص في غرف الأخبار أنّه إذا لم يحدث الأمر لهم فهذا يعني أنّه ليس بـ «خبر» بمفهوم «الأخبار».

هذا يوضّح كيف تؤثّر ديناميات السلطة على مهنة إعداد التقارير: «إذ يميل من هم في مناصب مرموقة باتّخاذ القرارات وفقاً لنظرتهم الخاصة عن العالم، ثم يتعاملون مع من يقابلونهم من هذا المنطلق».

ويشير مكارم من «حركة مناهضة العنصرية» أنّ هذا الأمر يتبدّى حين يشعر الصحافيون أنّ لهم أحقّيات كثيرة. ففي هذا النوع من المقابلات، كما يقول، يكون الأسلوب «من أعلى إلى أسفل»، ويتمّ رشق الأشخاص بالأسئلة. ويتابع: «يجب أن يحصل تحوّل بحيث يظلّ الأشخاص الذين يحكون قصصهم مالكين لها. ويجب أن يتمتّعوا بقوة كافية لامتلاك القصص المكتوبة عنهم».

مثال ذلك إحدى الصحفيات التي حضرت لمقابلة عاملة أجنبيّة في مركز العاملات المهاجرات الخاص بحركة مناهضة العنصريّة. يقول مكارم: «لقد كانت منفتحة للغاية وأرادت أن يدير الأشخاص الذين قابلتهم المحادثة. وكانت أسئلتها على الشكل التالي: «كيف تتعاملين مع مشاكل الحياة اليوميّة» أو «ما الذي يسعدك؟». كما بعثت برسالة صوتيّة قبل مجيئها تقدّم فيها نفسها وتقول للعاملة الأجنبيّة: «إذا شئتِ الحديث فأنا جاهزة، وإلّا لن ألزمك بالكلام».

«يجب أن يحصل تحوّل بحيث يظلّ الأشخاص الذين يحكون قصصهم مالكين لها».

تدير حركة مناهضة العنصريّة اليوم برنامجاً لبناء القدرات الإعلاميّة لأفرادها، ويتمّ تطويره باستمرار. «لقد عقدنا جلسة مؤخراً حول كيفيّة إجراء مقابلة مع الصحافيين كيف يتمّ الردّ على الأسئلة الصعبة، وتحوير بعض المحادثات، وتحديد النمط والحدود. كما يختصّ جزء من التدريب بالأشخاص الراغبين في إنتاج وسائل إعلاميّة خاصة بهم».

وتحدّث المشتركون أيضاً عن إعداد جلسة المقابلة بحدّ ذاتها، لا سيما عن الموجب الملقى على عاتق معدّي التقارير بالتأكّد من أنّ الأشخاص الذين يقابلونهم يدركون تداعيات الحديث إليهم.

وبحسب الصحفية الأمريكية أبي سوويل العاملة في لبنان، قد يكون من الصعب على الأشخاص التبصّر في ما يمكن أن ينتج عن مشاركتهم بقصصهم. «ثمة أحيان أجريت فيها مقابلات ثمّ تنبّهت إلى أنّ هؤلاء الأشخاص غير معتادين على التعامل مع وسائل الإعلام، فهم لا يفهمون ما هو الصحافيّ».

8 | thehindu.com/opinion/interview/the-further-you-are-from-power-the-more-you-see/article30925158.ece

ففي مثل هذه الحالات، تتّخذ سوويل إجراءات وقائية قدر الإمكان: «حتى لو وافق الأشخاص على أن أستعمل أسماءَهم، فأنا أعتكف عن الأمر فيما لو قدّرت أنّ هذا الاستعمال قد يسبّب لهم ضرراً».

في لبنان كما في سواه، إنّه لمن الشائع أن تتمّ مقابلة أشخاص من جماعات اللاجئين أو النازحين في مناسبات عديدة من أشخاص من مختلف المجالات. فتارةً، يأتي عمّال ميدانيون من منظّمات غير حكوميّة أو موظّفون من الأمم المتحّدة للسؤال عن مسألةٍ ما، وطوراً، تحضر الصحافة العالمية للتحقّق من مسألة مختلفة.

أحياناً يقوم أشخاص من صفات مختلفة من نفس المنظّمة غير الحكوميّة بزيارة نفس العائلة، إنّما من أجل غايات مختلفة. في هكذا أحوال، لا يتضّح دائماً الإختلاف بين مقابلة وأخرى.

وروى المصوّر سعادة أنّ الأشخاص الذين صوّرهم اعتقدوا أنّ المقابلة ستحسّن من أحوالهم: «ففي حين كنت أقابل ربّة عائلة عن التربية والتعليم مثلاً، كانت تحدّثني أيضاً عن مشاكل الماء والطعام. لماذا؟ لأنّها كانت تعتقد أنّها ستحصل على المساعدة».

على الصحافيين المستقلّين أن يتنبّهوا إلى هذا الموضوع. تقول سوويل: «أحياناً يتبيّن لي لاحقاً أنّ الأشخاص يظنّون أنّني أعمل مع الأمم المتّحدة، أو أنّهم سيتلقّون العون إذا قالوا لي أمراً معيّناً». في هذه الأحوال، تحيلهم على منظّمات تقدّم لهم المساعدة والدعم.

كما تحدّث مشتركون آخرون عن فكرة «ردّ الجميل» لمن تمّت مقابلتهم. وقالت إنجا هايدارووِيتش، طالبة الدكتوراه الباحثة عن موضوع الهجرة في لبنان، أنّها تحاول إيجاد طرق لتقديم الأشياء في المقابل.

«ليس لي الكثير من الأشياء لكنّني أملك الوقت مثلاً، لذلك عادةً ما أقدّم ورش العمل ودروس المحادثة، وعموماً مساحات يعبّر فيها الأشخاص عمّا يريدون وأقوم بتحديثها في بحثي. قد يكون البحث عمليّة تضامن. وأنا أحاول أن أجعله عمليّة تبادل للآراء قدر الإمكان».

«قد يكون البحث عمليّة تضامن».

وذكر مكارم من حركة مناهضة العنصرية هو أيضاً مبدأ المعاملة بالمثل وضرب مثالاً على منظّمة جمعت شهادات من عاملات أجنبيات من أجل إعداد التقارير. يقول في هذا الشأن: «لقد كانت عملية رائعة. لقد أخذوا وقتهم في البداية للقاء الجميع، ثم أطلعوهنّ على التقرير بأكمله.

فهذا الأمر لم يطرح مشكلة التوقّعات الخاطئة، بل كان الجميع يشارك، وساد جوّ من الأمان والثقة، فحتى حين قام البعض بالحديث عن تجارب مؤلمة، كانوا يتلقّون الدعم».

وفي رأي مكارم أنّ هذا الأمر هو تعويض عادل للأشخاص مقابل وقتهم، لكنّه أضاف: «ليس هذا ما يحصل دائماً حين يتّصل الباحثون والصحافيون بحركة مناهضة العنصرية من أجل التواصل مع العاملات الأجنبيات. فبعضهم سألوا عمّا تتقاضاه العاملات الأجنبيّات، وكأنّه يختلف عن رواتب الباقين. فهذا أمر غير مقبول، فالراتب يقوم بالمهمّة نفسها بالنسبة للناس أجمعين».

إذا لم تجرِ المقابلات على «أرض» أو «حقل» يمكن مغادرته حالَ انتهاء الأمر، فهذا يعني أنّ الرابط القائم مع الشخص الذي تمّت مقابلته لم ينته عند هذا الحدّ.

علاقة عابرة:
«حاولت التواصل معه لاحقاً لكنّه تجاهلني».

يقول المصوّر سعادة أنّه قد تمّت مقابلته من قبل صحافيّ، ولم يستمرّ الرابط فيما بينهما لاحقاً. وشعر سعادة، كما يقول، أنّها «علاقة عابرة»: «حاولت التواصل معه لاحقاً لكنّه تجاهلني».

ثم بعد انفجار الرابع من آب في بيروت، عاد هذا الصحافيّ ليتّصل بسعادة من أجل مقابلة جديدة: «لم أقبل بالأمر، فهو لم يكن قد حافظ على الرابط الذي نشأ جرّاء المقابلة الأولى».

وقد عبّر العديد من المشاركين عن رغبتهم في استمرار التواصل مع الأشخاص الذين يقابلونهم أثناء إعداد تقاريرهم. وتقول فاطمة الحجّي، الصحافية في برلين، أنّها لا تؤمن بمبدأ أنّه «على الصحافيّ أن يتحاشى الانخراط شخصيّاً في القصة»، فهي تعارضه لأنّه بحسب أقوالها: «يحوّل الأشخاص الذين تقابلهم إلى مجرّد مواد تخدم قصّتك». فهي، على العكس، تحبّ أن تكون قريبة من الجماعة. «هذا ما أحبّ فعله عند العمل على تقاريري».

وأفادت شهرزاد، الكاتبة من فرنسا، أنّها تستمتع كثيراً في وقت المقابلة: «جميلٌ أن تجلس أمام من يخبرك بكلّ شيء عن حياته. فأنت لا تعرفه، ومع ذلك يخبرك بكلّ شيء. إنّ في هذه الخبرة قمّةَ الإنسانيّة». وهي غالباً ما تبقى على تواصل مع الأشخاص بعد انتهاء المقابلة: «أريد أن أطمئنّ على أحوالهم. لا أعني بذلك أنّنا نصبح أعزّ الأصدقاء، لكنّني أرسل إليهم رسالة ربّما مرة في السنة. فأنا باختصار لا أرى الشخص كمشروع أعمل عليه».

المقابلة أكثر من مجرّد تلقّي الأقوال وإثبات الآراء والمعتقدات، المقابلة هي تواصل والتزام.

إذا ما أخذنا هذا الأمر في عين الإعتبار، لا تكون المقابلة على قدر المساواة فقط، إنّما تتعزّز إمكاناتها أيضاً.

إنّ معدّي التقارير الذين يدخلون المحادثات بعقليّة منفتحة وفضول للإصغاء والاكتشاف - ربّما أيضاً لإثبات أنّهم على خطأ، ليسوا أكثر صدقاً مع الأشخاص الذين يقابلونهم فحسب، بل مع القصص التي يعدّونها أيضاً. وهذا النوع من القصص هو الذي يستحوذ العالم بشكل أفضل..

الأسئلة في هذا الفصل:

كيف تظهر دينامية السلطة أثناء المقابلات واللقاءات؟

كيف يمكن للمقابلات أن تكون أكثر تبادلاً بطبيعتها، لا مجرّد عملية تجاريّة؟

ما نوع القصص التي تتأتّى من مقابلات أكثر مساواةً وانفتاحاً؟

الفصل السادس

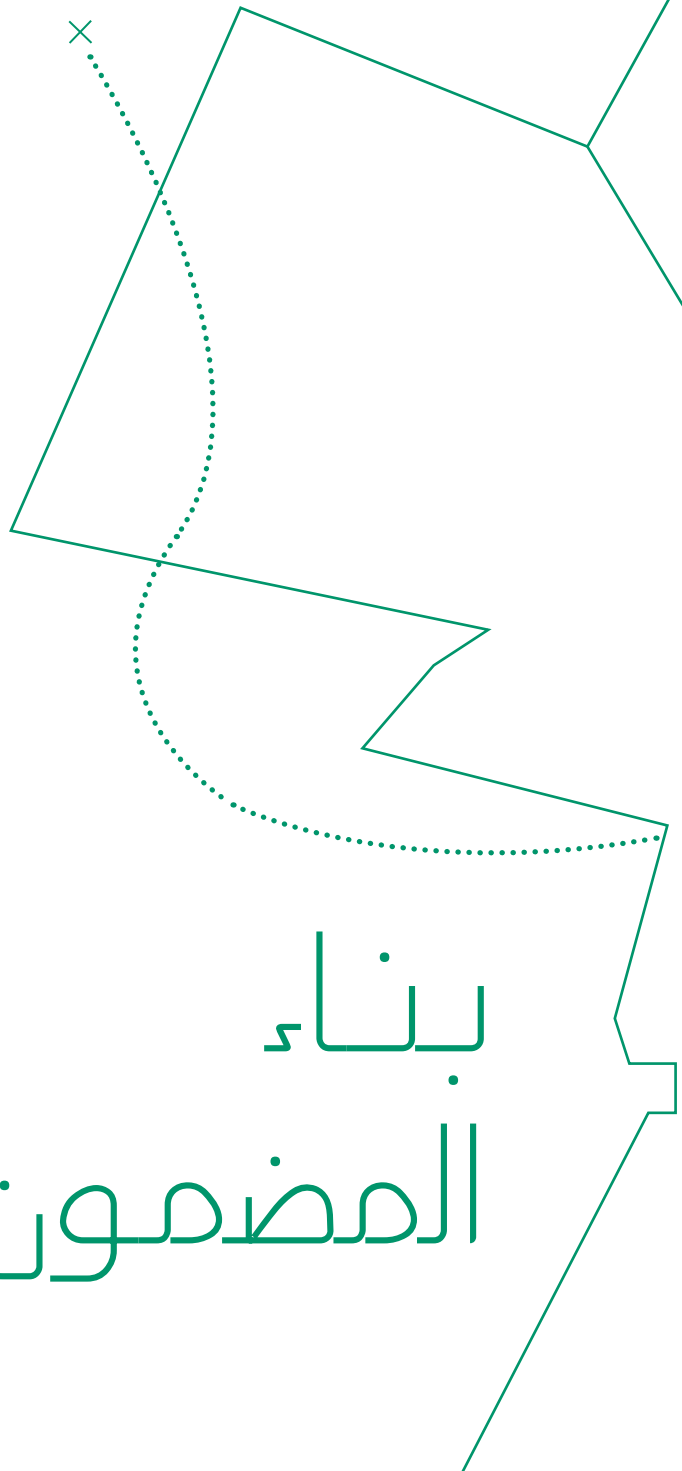

بناء المضمون

بناء المضمون

إن صياغة القصص تتطلّب من الرواة مجهوداً واسعاً. فهذه الصياغة يمكنها تغيير عقلية الناس بالفعل. وبحسب ييلينا دزيكزينيفا، عالمة الأنثروبولوجيا في ليون، «إنّ الصحافيين يخلقون العالم للناس، فهؤلاء يتخيّلون العالم استناداً إلى ما يرَون ويسمعون في الإعلام، ويتقرّبون ممّن يلتقون في الشارع على هذا الأساس». وعليه، يصعب التقليل من شأن مضمون الروايات.

لقد تناول الفيلسوف ميشال فوكو في كتاباته عن السلطة مسألة تأثير الحوار على إنتاج المعرفة وتحديدها، كون الحوار شكلاً مهمّاً من أشكال السلطة يؤثّر في أفعالنا وتصرّفاتنا. وبالتالي، تكون رواياتنا، وكيفية سردها، مظهراً فعلياً من مظاهر السلطة.

«إنّ الصحافيين يخلقون العالم للناس».

تطرّق العديد من المشاركين عن عملية صياغة القصص: كيف يمكن أن تخلقَ تلك العمليّة الأضرار، وكذلك المنافع. لقد تحدّث لور مكارم من حركة مناهضة العنصرية في لبنان عن أنّ الأسلوب الكتابيّ الجيّد وتحطيم رقم قياسيّ في تغطية المشكلة لا يعنيان بالضرورة أنّ النهج المعتمَد في الصياغة هو جيّد ويقول: «هذا لا يعني أنّهم ينوون نقل السلطة الى الأشخاص الذين يقابلونهم. يجب أن يكون ثمة مشاركة في السلطة وإلّا فقدت الآداب المهنية والتدريب قيمتَها».

«يجب أن يكون ثمة مشاركة في السلطة وإلّا فقدت الآداب المهنية والتدريب قيمتَها».

يتذكّر مكارم أنّ أحد الصحافيين صوّر أحد أفراد حركة مناهضة العنصرية بشكلٍ جيّد. فهو لم يشأ، بحسب مكارم، رسم صورة مؤثّرة للشخص، بل سأل الشخص: «كيف تريد أنتَ أن تصوّر نفسَك». ويتابع مكارم: «إنّ هذه التفاصيل المملّة هي التي تصنع الفرق».

كما عادت ريان بالذاكرة: «لقد اصطحبتنا إلى حيث تسكن، وتكلّمت عن مشاكلها اليوميّة- النقص في الماء وفي سواها. غير أنّ الفيلم المصوّر أظهر قوّة هذه الفتاة. وأعتقد أنّها حين تكبر، ستشاهد الفيلم وتكون فخورة بنفسها».

يتّخذ معدّو التقارير العديد من القرارات في صدد بناء قالب

لرواياتهم. هم يختارون الزوايا والتوجّهات، كما التفاصيل التي سيضيئون عليها وتلك التي سيحجبونها، وكيفية وصف الأشخاص والأماكن. لذلك، حتى لو كانوا غائبين عن مضمون القصة نفسها، إلّا أنّهم يبقون في محور عملية الصياغة.

تعترف فاطمة الحجّي، الصحافية في برلين، بوضعيتها الإمتيازيّة. «أعلم أنّني في وضعيّة تمدّني بالقوة، وأنّه عليّ أن أراقب نفسي في الأوقات كافةً. وذلك لأنّ الإمتياز يمكنه أن يغرّ الصحافيّ فيستعمله للحصول على أفضل قصة ثم يتوقف».

ووافقت سكّر من «كامبجي» على كلام الحجّي: «على الشخص الذي يكتب مقالاً أن يفكّر آلاف المرات بنوعية الرابط او العلاقة التي يخلقها مع قصته».

قد تخدم القصة في تغذية فهمنا لبعض المواضيع أو بالعكس، قد تعزّز الأنماط وتضيّق الأفكار. ويصف الكاتب النيجيري «شيماماندا نجوزي أديشي» في فيديو متداوَل لحديث له في العام 2009 على «TED Talks[9]»، مسألة أنّنا نحظى فقط بقصص يتيمة عن مشاكل وأماكن معيّنة في العالم، ما يحدّ من فهمنا لها. إنّ القصص المنفردة ينقصها الوضوح والشموليّة، وترسل مرّة بعد مرّة صورة واحدة عن مكان معيّن. وحين يحصل الأمر، أي حين تُروى قصة مفرَدة لمرّات عديدة، نعتقد أنّ هذه هي الحقيقة الكاملة والوحيدة.

تروي دزيكزينيفا، عالمة الانثروبولوجيا، عن فيلماً شاهدته عن مغتربين وصلوا الى إحدى الجزر الإيطالية: «لقد كان فيلماً رائعاً واستمتعت في مشاهدته، لكن لم نتعرّف فيه سوى على الأوروبيين. لقد دخلنا إلى مطبخ أحدهم، وكنّا على متن قارب يعود لآخر، ورأينا أحد أولادهم يلعبون. أما المغتربون فقد تمّ تصويرهم في الفيلم على أنّهم مجموعة من الأفراد، ولم نتعرّف إلى أيّ منهم».

«إذا وُجِدت قصص عديدة، يصبح الأمر كمن لديه مِشكال».

إذا قام الإعلام بتصوير المغتربين أو اللاجئين على أنّهم مجرّد أفراد في مجموعات مجهولة، ولم يعمد إلى تصوير مسيرتهم الشخصيّة، سيقود الأمر في المجتمع الى تهميش وإلى رهاب الأجانب.

يقول سيمون سبيرا، طالب الدكتوراه في إيطاليا: «إنّ الإعلام يلعب دوراً أساسيّاً في تصوير حوار بين «نحن» و«هم» خاصةً في أوروبا. إنّه يرسم لنا فكرة أنّ المغتربين هم أشخاص يأتون في القوارب، على الرغم من أنّ الهجرة في أوروبا غالباً ما تحصل بين دول أوروبية».

وأضاء الكاتب والمحاضر في الآداب المقارَنة في كراتشي، باكستان، نُدرَت كمال، في حلقة صوتيّة مصوّرة[10]، على ضرورة تفكيك هيمنة القصص المنفردة.

9 | https://www.ted.com/talks/chimamanda_ngozi_adichie_the_danger_of_a_single_story

10 | soundcloud.com/user-968223567/unlocked-bonus-episode-49

«إذا وُجِدت قصص عديدة، يصبح الأمر كمن لديه مِشكال، يرى الأمور لا من وجهة واحدة، بل من خلال قصص كثيرة تحاور الواحدة فيها الأخرى، أو تناقضها وتعقّدها». فبالنسبة لكمال، المسألة هي مسألة سلطة من الجوانب كافةً:» إذا شئنا، وأنا أشاء، إحلال التوازن السلطويّ في العالم، فنحن بحاجة الى المزيد من القصص. نريد قصصاً أقلّ من ناحية الأشخاص الكائنين في موقع السلطة، وقصصاً أكثر ممّن هم مختلفون وليسوا بالضرورة أصحاب سلطة عالميّة».

إنّ هذا كلّه مشروط بكيفية صياغة القصص. وهو نتيجة خَيارات قد لا يتمّ التنبّه إليها إلّا بعد تحقيق ذاتي وتفكير. ضحى قاضي من منظمة التنمية والإغاثة أكّدت أنّهم بدّلوا أسلوب سرد خبرات الغير في المنظّمة. وتقول: «نحن منظّمة بدأت من الصفر، وتعلّمت القواعد الأخلاقيّة تباعاً. كنّا ننشر صوراً على وسائل التواصل الإجتماعي لأطفالٍ يبكون ولأشخاص يتلقّون مساعدات. لكنّ الناس قالوا لنا: «نحن لا نريد أن نظهر على هذا الشكل، فنحن نمرّ حالياً بمرحلة من الضيق ونحن لسنا كما ظهرنا». والآن أصبح لدينا أسلوب عمل مختلف. لقد أنشأنا قِيَماً نحرص على المحافظة عليها. لقد وضعنا في البدء رؤوسَ أقلام ثم عملنا على تطويرها. وهذا المستند يحتوي الآن على 15 صفحة».

للظهور الإعلاميّ آثاره في الواقع. فقد ذكر العديد من المشتركين أنّ الصورة السلبيّة للمغتربين والنازحين «تخلق عالماً»، على حدّ قول دزيكزينيفا، يعكس هذه السلبيّة.

وتطرّقت قاضي إلى تركيز الإعلام على تصوير العائلات في المخيّمات: «العديد من النازحين لا يقطنون في المخيّمات، فهم من الطلّاب أو الأجراء. ونحن نعتمد عليهم في العمل الزراعيّ والصناعيّ من أجل حاجاتنا الأساسيّة. ونحن الصحافيين نغفل تصوير هذا الأمر، ما يجعل اللاجئين يشعرون بعدم أهمّيتهم ويفقدون ثقتهم في أنفسهم. إذا قيل لك مراراً وتكراراً أنّك عديم المنفعة، سينتهي بك الأمر إلى الإقتناع بذلك».

واشتكى سميح محمود من «كامبجي» من أنّ وسائل الإعلام العادية تستمرّ في نشر صورة سيئة عن اللاجئين في لبنان: «إذا ما ارتكب أحد السوريين مثلاً فعلاً غير مشروع، يقومون ببثّ جنسيّته حتى لو لم يكن لما قام به السوريّ علاقة بجنسيّته».

هذه التفاصيل الشائعة والتلميح الى الجنسيّة أو العرق أو الجنس ترسم الدور الذي تلعبه صياغة القصص في تحديد فهمنا لموضوع الإغتراب.

11 | theguardian.com/uk-news/2015/jul/30/david-cameron-mi-grant-swarm-lan-guage-condemned

12 | bbc.com/news/world-europe-33204681

فعلى مدى السنوات القليلة الأخيرة، وعند إعداد تقارير عن لاجئين ومهاجرين، قامت العديد من المنصّات الإعلاميّة الهامّة باستعمال مصطلحات كـ «موجة من الأشخاص»، أو كـ «طوفان» لأشخاص عبر الحدود: وهي كلمات تُستعمل عادةً للطوارئ الطبيعيّة، وليس للتحرّكات الإنسانيّة.

وقد نُقِلَ عن لسان رئيس الوزراء البريطاني السابق دايفيد كاميرون أنّه قال[11] أنّ «أسراباً من البشر» ستأتي إلى الجزيرة. حتى تلفزيون البي-بي-سي البريطاني قد وصف[12] المغتربين في تقاريره بأنّهم: «طوفان» و«تيارات»، (وقد استعمل للدلالة عليهم صوراً لمجموعات من المغتربين عوضاً عن التعريف على كلّ واحدٍ باسمه). وشدّدت قاضي على أنّ منظّمتها تحرص على الكلمات التي تستعملها في تقاريرها وخطاباتها: «نحن لا نستعمل مثلاً مصطلح «مستفيد»، بل نستبدله بـ «عضو من الجماعة» أو بـ «مشارك».

في إحدى المرات أعدّت المنظّمة فيلماً مصوّراً عن مطبخ المجموعة الرمضانيّ، لكنّ الترجمة ذكرت أنّ المنظّمة «تُطعِم عشرةَ آلاف نازح». وتتابع قاضي بالقول أنّ الأمر كان خطأً: «نحن لا نستعمل هذه اللغة، فنحن لا نطعِم الناس وكأنّهم يستلمون هذه المساعدات من دون مقابل».

وأيّدت سكّر من «كامبجي» كلام زميلاتها عن مدى أهميّة اختيار الكلمات، فقالت: «حين سافرت الى الخارج ورأيْتُ الأمور من المنظار الخارجيّ، أدركت أنّ التركيز مثلاً على موضوع الحجاب سيخلق رهاباً ضدّ الإسلام». فبالنسبة إليها، إنّ وصف امرأة بأنّها محجّبة لا يعني بالضرورة شيئاً، إنّما تقول: «إذا أردنا نشر رسالة موحّدة بعيدة عن الكراهية، وغير منتجة للأنماط، علينا التأنّي في اختيار عبارات كهذه».

وبالنسبة إلى قاضي، إنّ خياراً غير ذي أهميّة بين كلمتي «حرب» و«أزمة» قد يكون ذا مفاعيل منتِجة. «فالعديد من الصحافيين يقولون: «الأزمة السورية» فيما نحن أمام «حرب سوريّة»، وهذا الأمر يؤدّي الى التقليل من شأن ما يمرّ به هؤلاء الناس. فلو استعملنا عبارة «حرب» لتنبّهنا إلى أنّ هؤلاء الأشخاص ليسوا في أمان في بلادهم».

عند الكتابة عن الإغتراب، تساهم معايير بسيطة في إحداث تبديل في وجهات النظر. فعلى سبيل المثال، يوجد فرق بين وصف الشخص على أنّه «مغترب» وقول «هذا الشخص الذي اغترَبَ»، ففي العبارة الأولى، نحن نقلّص هويّة الشخص ونحصرها في كونه مغترِباً، بينما نحافظ في الحالة الثانية على سائر جوانب شخصيّته.

وقد يترك أسلوب الصياغة لقصص الإغتراب أثراً نفسيّاً. ففي إحدى ورش عملنا، تقدّم صحافيان من التابعية السوريّة وتمّ قبولهما للمشاركة في

الورشة. لاحقاً، قالا أنّهما اعتقدا أنّه قد تمّ قبولهما لمجرّد أنّهما مغتربان، وليس بناءً على كفاءتهما المهنيّة كما حصل فعلاً.

إنّ التحييد عن هيمنة القصص المنفردة يتطلّب ليس فقط نوعاً آخراً من القصص، إنّما أيضاً زيادةً في أعدادها. وهذا رأي سبيرا، طالب الدكتوراه الإيطالي، الذي يقول: «من يطبّقون السياسات يستندون على معلومات مُتداوَلة على نطاق واسع، فإذا قدّمنا العديد من القصص، استحالَ عليهم الإستخفاف بهذه المعلومات الواسعة. إنّ واجبنا هو إنتاج عدد كافٍ من القصص ليكون من الصعب عليهم تجاهلها».

إنّ صياغة القصص الجديدة، المتنوّعة والبديلة ليس بالمهمّة السهلة. فالقليل منّا، أو بالأحرى ليس فينا من يقدر أن يحرّر نفسه من التصوّرات المسبقة والأفكار التقليديّة عن عالمنا. ومع ذلك، ثمة مجال للمحاولة. إنّ الكاتبة الألمانية موستلين طرحت وسيلةً غالباً ما نقدّمها في ورش العمل الخاصة بنا: «أن نستبدل في مخيّلتنا بطل القصة بشخصٍ آخر: إذا استبدلناه بأنفسنا، سنلاحظ الأنماط التي نملكها عن الجنس الآخر أو عن سائر هويّات المرء».

وقد عرضت الصحافية اللبنانية نور غصيني أن نقوم بتحدّي الدماغ بصورة متواصلة من أجل أن يتقبّل التنوّع. وتقول: «إنّ أدمغتنا بحاجة الى التدريب تماماً كأيّ شيء آخر في هذه الحياة».

الأسئلة في هذا الفصل:

كيف يمكن للرواة صياغة قصص أكثر تنوعاً وعدالة؟

ما هو تأثير الكلمات التي تُستخدم والطريقة التي نصف فيها الأشخاص؟

كيف يمكن للرواة تجنّب إعادة إنتاج القصص المنفردة؟

الفصل السابع

التأثير

التأثير

إنّ القسم الأخير من إعداد التقرير يبدأ في اللحظة نفسها التي يتمّ فيها الضغط على «إحفظ» على الكمبيوتر. بعد الوصول إلى المرحلة الأخيرة من الإنتاج، يبقى أمر واحد: أن يصل التقرير الى القرّاء، المستمعين والمشاهدين. وهذا يشمل أشخاصاً يعرفون القليل عن الأجانب المهاجرين كما يشمل أهل الخبرة في الموضوع. ويشمل أيضاً جميعَ من تمّت مقابلتهم من أجل التقرير، الذين سيحظون بفرصة رؤية شهادتهم تدخل الإطار الواسع للقصة.

ولحظة النشر هي أيضاً اللحظة التي تبدأ فيها القصة بإحداث أثر. كلّ ما تمّ عمله إلى حدّ الآن يصبح قيد الإمتحان: مرحلة البحث، والتواصل مع الأشخاص، الإختيارات عند صناعة المادّة الاعلامية، والتفاصيل والأقوال التي تمّ ضمّها الى القصة وتلك التي لم تستعمل.

وتحدّث العديد من المشتركين عن أهميّة إطلاع من تمّت مقابلتهم قبل النشر على أقوالهم. عمر سعادة، الذي صوّر موادًا لمنظّمة غير حكومية في لبنان، ذكر أنّه يجب الإتاحة للأشخاص المذكورين في القصة رؤية الموضوع النهائيّ ويتابع: «يجب حتى أن يحصلوا على الترجمة الدقيقة كأن يقال لهم هذه قصتكم، وهذه أقوالكم، وهذه المقدّمة العامة».

تسعى شهرزاد، طالبة وكاتبة من فرنسا، أن تُطلِعَ الأشخاص الذين تتناولهم في موضوعها على النسخة النهائيّة، وتقول: «أريد أن أتأكّد من أنّني لم أقم بأيّ خطأ أو فهمت أيّ شيء على غير حقيقته. عادةً ما نعتقد أنّ قبول الأشخاص كافٍ، لكن يجب التركيز على مرحلة ما بعد هذا القبول». وهذا، تضيف شهرزاد، يعتمد على من تقوم بمقابلتهم: «إذا كنْتَ قد حاورْتَ رجلاً مغتصِباً، فلا داعي للتحقّق من أيّ شيء، أما متى حاورْتَ جماعات مهمّشة فعليك أن تولي الأمر أهميّة خاصة».

إنّ إدراك ديناميكية القوة المطبّقة في كلّ موقف يساعد على القيام بهذه الخيارات. هل معدّ التقرير هو مَن في وضعية الهيمنة على من يقابله؟ فإذا كان الجواب إيجاباً، يجب السماح للأشخاص المذكورين في التقرير أن يرَوا كيف تمّ ذكرهم فيه وأن يوافقوا عليه. وإلّا إذا كان الضيف هو مَن في وضعية السلطة ــ كمثل أن يكون ممثلاً رسمياً أو أحد السياسيين في خطاب علنيّ ــ تكون الأدوار معكوسة، ويجب حينها نشر المعلومة كما وردت.

إلى جانب التدقيق في الأقاويل والإفادات التي وردت على لسان من تمّت مقابلتهم، ثمة أساليب أخرى للتحقّق من أنّ الأشخاص تمّ التطرّق إليهم بصورة صحيحة.

تسأل ريان سكّر من منظّمة «كامبجي» بعض الأسئلة قبل نشر أيّ مقال «هل الأشخاص الذين تطرّقت إليهم سعداء بكيفية تصويرهم؟ إذا كانوا من الأجانب أو من النازحين، هل سيقود ذلك الى تغيير في حياتهم؟ ما هي الآراء المحتملة لمن سيقرأ المقال أو يشاهد التقرير المصوّر؟» وتضيف: «يجب أن يوجد دائماً ما يربط القرّاء والمشاهدين بالأشخاص المذكورين في التقرير».

«هل الأشخاص الذين تطرّقت إليهم سعداء بكيفية تصويرهم؟».

وتسعى إنجا هاجداروويتش، مرشّحة الدكتوراه الباحثة في مجال الإغتراب، أن تنطبقَ مقالاتها على الخبرات الفعليّة لهؤلاء الأشخاص علينا أن نعمل. وعليّ أن أكون قادرة على نقل خبرات النساء اللواتي أقابلهنّ، كما خبرات المنظّمات التي فتحت لي أبوابها. وعلى ما أكتبه أن يكون قويّاً لدرجة أن يحفّز الغير على القيام بعمل مماثل». وتختم بالقول: «وهذا الأمر يتطلّب مسؤولية فائقة».

ومع ذلك، يحصل أن يخالف معدّو التقارير ووسائل الإعلام نوايا وتمنيّات الأشخاص في المقابلة ـ وأحياناً على حساب أمنهم الشخصيّ.

«فنلعب دوراً كالميكروفون مثلاً».

في العام 2018، نشرت الباحثة جوهانا فوستر والمحامية شيريزان مينوالا دراسةً[13] عن قصص النساء الأيزيديات اللواتي تمّت مقابلتهنّ من قبل صحافيين يعدّون تقارير عن العنف الجنسيّ.

ثمانية وخمسون في المئة من النساء قلن أنّ الصحافيين الذين قابلوهنّ خالفوا الآداب المهنية عن طريق الضغط عليهنّ للكلام أو الإخفاق في حماية هويّتهنّ.

وخلال العام 2019، وأثناء تغطية اعتداء إرهابيّ على فندق في العاصمة الكينية نيروبي، تعرّضت وسائل إعلام عالمية للإنتقاد بسبب نشرها لصور الضحايا، حتى في فترة استمرار الاعتداء. فقد صرّح[14] الإعلاميّ الزميل جايمس سيغورو واهاتو للبي-بي-سي حينها أنّه « غالباً ما تُستهلك وفاة الأفريقيين (...) في النشر دون أدنى اعتبار لخصوصيتهم أو لألم عائلاتهم».

وتلقّت نيويورك تايمز انتقاداً مماثلاً في العام 2018، بسبب إيرادها لتقرير عن الصحة النفسية في فترة ما بعد الحرب في سريلانكا. وتمّ طرح سؤال[15] على تويتر عن مدى المهنيّة في نشر صور أشخاص يعانون من أمراض

13 | sciencedirect.com/science/article/abs/pii/S0277539517301905

14 |bbc.com/news/world-africa-46889822

15 |twitter.com/garikaa-lan/status/1070173084420730880?s=21/1070173084420730880?s=21

نفسية، حتى لو وافقوا رسمياً على هذا النشر كما تدّعي الصحيفة. وفي رأي البعض، لو تمّ استقدام مصوّر محليّ في إعداد التقرير لكان الأمر مختلفاً.

وروى لور مكارم من حركة مناهضة العنصرية موقفاً لم تحترم فيه احدى الصحافيات المرأة الأجنبية التي تقابلها. «في البدء، كانت الصحافية تطرح مواضيعَ عامّة، فقد سألّت العاملة الأجنبية عن قصتها وعن سبب تواجدها في لبنان. ثم تبدّلت الأجواء. فالمرأة كانت قد طلبت اللجوء السياسي ولم يكن باستطاعتها العودة الى بلدها لأسباب سياسية». ويتابع مكارم: «يبدو أنّ الصحافية كانت تعلم بهذا الأمر، ومع ذلك، استمرّت في طرح الأسئلة على الرغم من انزعاج المرأة».

وبعد المقابلة، «لاحظت اللاجئة أنّها قالت أكثر ممّا كانت تريد قوله. لكنّها لم تكن تعرف لا اسم الصحافية ولا رقم هاتفها. حاولنا إيجاد رقم الصحافيّة وسألناها أن تبقى بعض المعلومات محجوبة، ولم نعلم بما حصل إذ لم تشاركنا الصحافية ما كتبته».

وصرّح العديد من المشاركين أيضاً أنّ الصحافيين والمتواصلين مع المنظّمات غير الحكومية يشعرون أحياناً بالضغط لإظهار صور اللاجئين والنازحين كضعفاء وسلبيين وضعفاء.

وأفادت ضحى قاضي أنّ منظّمتها قد وضعت استراتيجية للتعامل مع المتبرّعين الذين يطلبون هذا النوع من المعلومات: «نقول أنّ لدينا سياسات وقواعد داخلية تنصّ على عدم إظهار الأفراد على أنّهم في وضعية ضعيفة، وعدم إظهار أطفال يبكون، أو تصوير النساء على أنهنّ أفراد ضعفاء».

«ولا نطلعهم إلّا على مضمون يحفظ الكرامة، فلا نطلعهم مثلاً على صور منزل غير نظيف أو غير مرتّب. فهكذا صور تستعمل لتقاريرنا الداخلية الخاصة وليس لغايات إعلامية. نحن نستعمل نماذج متعدّدة بحسب اختلاف الأمور. مثلاً نحن نشارك المعلومات المفصّلة حصريّاً مع المتبرّعين، فيما نظهر جانب آخر من القصة لوسائل التواصل الإجتماعي».

كما يجب اتّخاذ الحيطة أيضاً لدى نشر الأرقام والإحصاءات التي تستند اليها وسائل الاعلام لتحفيز قصصها. إنّ تقديم معلومات دقيقة عن اللاجئين والنازحين مهمّ ويأتي بمسؤولية فائقة. فالأرقام لا تعني شيئاً من غير إطار يحويها، كما يسهل تحويرها لأهداف سياسية. أحياناً يتمّ تقديمها على أنها أرقام نهائية أو «حقيقيّة»، فيما نحن نغفل أنّ الإحصاءات هي دائماً تصوير شخصيّ للواقع، ويجب أن يكون مترافقاً مع آراء سديدة ومع شهادات حيّة.

يعتقد الصحافيون، أو أقلّه يرجون، أنّ عملهم سيؤدي إلى تغيير أو

تحسين في العالم. إلّا أنّ تقييم مفاعيل التقرير صعب، إن لم يكن مستحيلاً. فالآثار، على فرض حصولها، هي غير مباشرة وتمتدّ الى المدى البعيد. وتقول الصحافية أبّي سويل: «بالنسبة اليّ كصحفية، يهمّني أن يكون لمقالي تأثير على حياة الناس وأن يساعدهم. لكنّ الواقع أنّ هذا التأثير غالباً ما لا يحصل. وإن حصلَ، فنادراً، وعادةً عن طريق إسعاد الأشخاص لأنّ قصتهم سيتمّ سماعها». وبرأي الصحافية في برلين فاطمة الحاجّي، يجب تحرير الصحافة من «ثقل» إنتاج تغيير. «قم بعملك كصحافيّ وكن لطيفاً مع الغير ومع ما يفعلون، ترَ النتيجة».

وقد تساءلت الحجّي مراراً وتكراراً عمّا إذا كان باستطاعة الصحافيين المشاركة في التغيير الإجتماعيّ: «وصلت الى جواب. أنتَ كصحافيّ لن تحدِث التغيير. أنت يمكنك فقط دعم الأشخاص فيما يودّون تغييره».

ومع ذلك، يبقى لإعداد التقارير القوة لخلق التغيير. وكما ورد في العديد من الفصول، إنّه يطرح القضايا ويضيء عليها. وبذلك، يكون سيفاً ذا حدّين. وتقول السيدة قاضي من منظّمة سوا للتنمية والإغاثة أنّ الصحافيين يمكن أن يكونوا صلة الوصل بين الأشخاص الذين يقابلوهم وأشخاص السلطة. «أغلب اللاجئين الذين نعمل معهم لا يمكنهم الوصول الى متبرّعين أو إلى أصحاب القرارات. فنلعب دوراً كالميكروفون مثلاً. ولهذا الأمر أثر على المدى البعيد. لقد شاركنا العديد من المقابلات والشهادات مع متبرّعين قادرين على التأثير على السلطات والحكومات».

ويروي كلّ من الصحافيين ريان سكّر وسميح محمود من «كامبجي» كيف أنّ علاقتهم مع الأشخاص تطوّرت خلال عملهم في النطاق. يقول محمود: «لم نكن بدايةً ذا تأثير يذكر، أمّا الآن فلدينا برنامج « أخبار من السطوح» حيث ننظر بعين ناقدة الى نشرات الأخبار. إذا لم ننقل أيّ مشكلة، يكتب إلينا الناس ليسألونا عن السبب، ثم يتابعون حديثهم الخاص، منتقدين السياسيين وساخرين منهم». ويحكي كيف أنّه، ذات مرة تلقّى اتّصالاً من شقيق أحد الشبّان الذين قضّوا بصعقة كهربائية في أحد مخيّمات بيروت. لقد اتّصل الشقيق من أجل أن يتكلّم ويزيل عنه الضغوط كافةً.

«هذه هي أهمّية الصحافة المستقلّة للمواطنين واللاجئين». وقالت سكّر: «أحياناً يؤنّبنا البعض ويسألوننا: «لماذا لم تأتوا الى منطقتنا، لم نرَكم هنا منذ مدة». وهذا التأنيب يسعدنا لأنّه لو لم يحصل لعنى الأم أنّهم لا يحبّون عملنا».

إنّ العلاقة الوطيدة التي تحافظ عليها المنصّة الصحافية «كامبجي» مع جماعة النازحين تسمح لهم برؤية المفعول الفوري لتقاريرهم. يقول محمود «عندما نذهب ونسأل عن أمر ما ـ مثلاً أزمات اقتصادية واجتماعية

ـ قد يكون الشخص الذي نقابله جارَ أحدهم. فيضيف وجهةَ نظره الخاصة ويبدأ الحوار عن أمور لم يطرحها أحد من ذي قبل. إنّ هذا الأمر بدّل صورة الصحافيين العالقة في ذهن المقيمين المخيّمات. حالياً يأتي الناس ويطلبون هم منّا أن نقابلهم. لقد أصبحت آلة التصوير جزءاً من حياتهم».

مع غضّ النظر عن مدى ارتباط معدّي التقارير بالأشخاص والجماعات التي يغطّونها، يُفترض أن يحدِث عملهم أثراً معيّناً. قد يكون الأمر على نطاق ضيّق، كأن يمنحوا الناس فرصةَ الحديث عن مواضيع تهمّهم، أو رفع المشاكل المحليّة. في بعض الأحيان، يكون النطاق أوسع، كالإضاءة على القمع والظلم، ومن ثمّ التأثير على القرارات السياسية. في كلا الحالتين، إنّ مقدار الأثر الذي تُحدثه القصة يُترجَم من خلال عملية إعداد التقرير منذ البداية حتى النهاية: إما أن يكون التقريرُ شاملاً، صادقاً، وداعياً للتفكير، وإمّا أنّه قد حصل من دون احترام الأشخاص المذكورين فيه.

إنّ العديد من الصحافيين وغير الصحافيين يأملون أن تنتِجَ تقاريرُهم أثراً إيجابياً. وما يضاعف من احتمال حصول هذا التأثير هو إعداد تقرير يتوقّف عنده الناس ويطرحون التساؤلات والإنتقادات.

الأسئلة في هذا الفصل:

ما هي قدرة تأثير قصص الهجرة بما هو أبعد من مجرّد نشرها؟

ما هو تأثير المقابلات على الأشخاص الذين يشاركون فيها؟

كيف يمكن للرواة حماية الأشخاص في قصصهم من تأثيرها عليهم؟